٥٢٣

523

قلوب عبير

دار الفرسان

HARLEQUIN

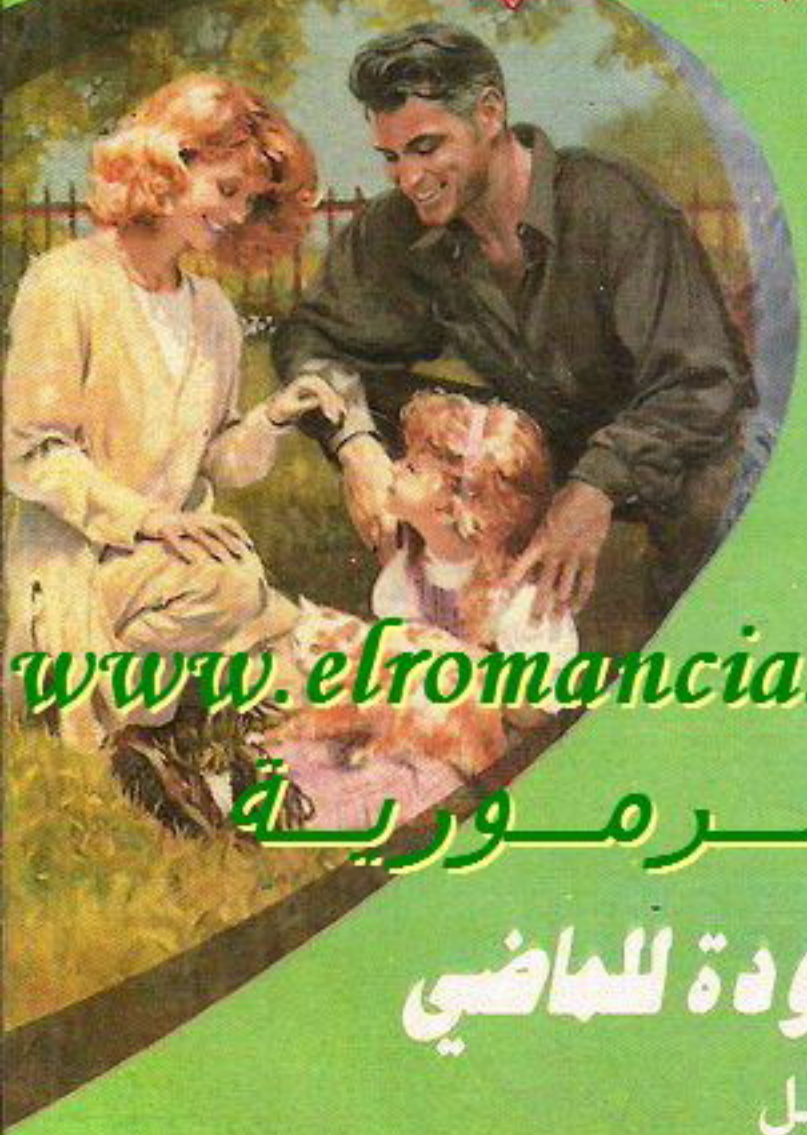

www.elromancia.com

مرموزة

لا عودة للماضي

آن ويل

لا عودة للماضي

آن ويل

كل شيء أحبته في رجل...

وسيم، أنيق، ذكي مع روح الدعابة. لكن بالرغم من وسامة آدم فونتني، فجين ليست لديها النية في التورط معه. بالرغم من أنها خدعته عن سيرة حياتها الماضية في لقائهما الأول، فمن غير المعقول أن يرغب في لقائها مرة ثانية بعد أن يعرف حقيقة امرها. فكان من الأفضل أن تتأكد من اختفائها دون ترك أثر. ولكن كيف تفسر تصرفها هذا عندما يتقابلا مرة ثانية بطريق الصدفة؟

«هل تتلاعبين معه يا جين؟»

قالت جين بسخط: «لا، أنا لا اتلاعب معه.»

«إذن أنا مضطر أن استنتج انك تتلاعبين معي، كما فعلت في السابق. اكلت الطعم مرة ولكني لن أفعل مرة ثانية. ربما ليس لدى ديك فتيل، عكسي أنا. اشعلي فتيلي وستكونين عرضه للاحتراق.»

www.elibrary.com

آن ويل

كانت آن ويل ما زالت في المدرسة عندما نشرت مجلة النساء بعضاً من قصصها. وفي سن الخامسة والعشرين قبل ميلز وبون روايتها الأولى. والآن وبما أنها تعيش مع ابنها الناضج وما زالت متزوجة من حبيبها الأول، وزعت آن حياتها ما بين بيتها الشتوي وهو عبارة عن قرية اسبانية محاطة بالجبال وكروم العنب وبيت صيفي في غورنسي، وهو واحد من البيوت الذي استخدمته لكتبها.

٥٢٣

khouloub Abir 523

لا عودة للماضي

آن ويل

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

«اهذه أنت يا جين؟»

اتى هذا الصوت من غرفة في الطابق السفلي والذي كان في يوم من الأيام بيت عائلي كبير، ولكنه انقسم الآن إلى الحاضنات وشقق صغيرة.

شعرت جين تونتون بقلبها يخفق بينما كانت تهز مظلتها قبل أن تغلق الباب الأمامي.

كانت جين تونتون مولعة بالسيدة تشتستر، مالكة هذا المنزل وسعيدة لشراء حاجياتها وبقضاء عدة امسيات اسبوعياً برفقتها. ولكن ذلك اليوم كان شاقاً في المكتب حيث كانت تعمل سكرتيرة، وكي تعود إلى منزلها القديم في لندن الذي يقع على الجهة الشمالية من هايد بارك، كان عليها أن تمشي على الطريق الاقرب إلى المحطة. وبينما كانت مسرعة ليلاً إلى المنزل والمطر يتساقط بغزارة، فإذ بسيارة تسرع أمامها فيتناثر الماء على قدمي جين.

في تلك اللحظات، كانت ترغب أن تأخذ حماماً وأن تضع رجليها المرهقتين في وعاء من الماء لأنها لم تشعر برجليها مرهقتين هكذا من قبل. وبالرغم من انه ما زال امامها ثلاث سنوات لتصبح في الثلاثين من عمرها، ولكن في هذه الأمسية بالذات شعرت بأن سن الخمسين يلوح امامها. كانت متعبة ويائسة ومريضة من حياة المدينة ومن هذا الشتاء البارد.

لم تظهر كل هذه الأحاسيس الداخلية على وجه جين المبتسم عندما دخلت إلى تلك الغرفة غير المنظمة حيث كانت مالكة الشقة تعيش في احضان ذكريات ماضيها المزدهر.

والآن وهي في الثمانين من عمرها اصبحت ارملة عجوز، تنوح ولديها اللذين قتلا خلال الحرب العالمية الثانية. أجابت السيدة تشتستر على سؤال جين بعدما سألتها عن حالها وهي تلوح ببطاقة بيضاء.

«لقد دعيت إلى حفلة وعليك الذهاب مكاني واخباري بكل ما يدور في هذه الحفلة.» كانت تلك العينان اللامعتان للسيدة العجوز ما زالتا تتلألأن وتلمعان فرحاً وسعادة، وتابعت: «ستقام تلك الحفلة بعد اسبوعين نهار الخميس في رواق كراوثورن في شارع بروك. وهذه الحفلة هي فكرة خاصة لعرض لوحات... (مائتي سنة للسيدات الجميلات.) عليك أن ترتدي ثوبي الفيونيت. من يدري؟ ربما تلتقين بنصيبك.»

لم يكن لدى جين الرغبة بالذهاب إلى تلك الحفلة التي تجمع الاغنياء والمشاهير في مكان لن تعرف احداً هناك، وستشعر انها موجودة في غير مكانها. وفي نفس الوقت لا تريد أن تضفي جواً من الكآبة على حماس السيدة تشتستر التي كانت شبه متأكدة من أن هذه الفرصة فرصة رائعة بالنسبة لجين وربما قابلت رجلاً مناسباً لها.

في أوج أيام السيدة تشتستر، كانت الحفلات واللقاءات هما الهدف الاساسي في حياة كل شخص عازب وطبعاً هذا ضمن طبقة مجتمعها، وبناء على ذلك وجدت صعوبة في تقبل الفكرة التي تقول ان الزمن قد تغير.

وبالرغم من أن السيدة تشتستر هي من بين قلة من الناس الذين يعرفون سر جين، فهي مازالت ترفض الاعتراف بان الزواج من رجل ناجح وفاتن كما حققت هي لنفسها، ليس ورقة رابحة لحمايتها.

قالت اوليفيا تشتستر بسخرية: «كان عليّ أن أفكر في أن عائلة كراوثورن قد وضعوا اسمي على قائمة المدعوين. افترض بأنهم ما زال عندهم امل بانني مازلت املك بعض الكنوز لأبيعها لهم. اتمنى لو كنت احتفظ ببعض من الكنوز. ولكن آخر لوحاتي القيمة بيعت بالمزاد العلني منذ خمس سنوات عندما كان السطح بحاجة للترميم. كل ما لدي الآن هو لوحة مصغرة لجون سمارت ربما تجلب سعراً جيداً. ولكن يجب ألاّ ابيعها إلى أن اصبح يائسة أو معدمة...» دعينا نتناول كوباً من عصير التفاح، واخلعي معطفك المبلل يا عزيزتي. ان العمل كل يوم في هكذا طقس لم يكن ليناسبني على الاطلاق لو كنت ولدت في جيلك هذا، اني سعيدة الحظ.»

دام لقاء السيدتين حوالى ساعة من الوقت، وعندها شعرت جين بأنها تريد أن تودعها وتصعد إلى شقتها المؤلفة من ثلاث غرف في الطابق العلوي.

كانت جين تشفق في داخلها على حالة السيدة تشتستر التي كانت تزداد سوءاً بتقدم سنها وعجزها.

تحسنت نفسية السيدة تشتستر عندما بدلت القناديل والموقد المزيف في قاعة الجلوس العالية السقف بقليل من المال. وقد فعلت ما بوسعها لتجعل من منزلها منزلاً مألوفاً.

كان في مستهل الطابق غرفة نوم صغيرة وبالقرب منها

حمام مجاور. وكانت الحديقة الواقعة خلف المنزل تمتد إلى سطح الطابق الأسفل. ولكن جين التي كانت ترغب باقامة حديقة بالجوار، كان عليها أن تضع عتبات خارج نوافذ غرفة الجلوس، وتزود هذه النوافذ باسلاك كهربائية وأن تسدل حديداً مسبوكاً عند سلم النجاة.

كان هذا يحبط عمل اللصوص ويمنعهم من التسلق من الطابق الأرضي، اما الطابق العلوي فكان هناك سلم للهبوط. ولكن كل هذا غير كاف لأن رجلاً شرطياً من فرقة حماية الجرائم كان قد نصح السيدة تشتستر أن سلم النجاة يجعل نوافذ البيت الخلفية معرضة للهجوم من قبل اللصوص.

واهتماماً منها بسلامة المستأجرين وبما أن معظمهم كن من النسوة الغرباء، انفقت مالها في شراء نوافذ مزودة بقضبان حديدية ووضعتها على النوافذ الخلفية.

كانت جين تطبخ لنفسها وللسيدة العجوز معظم الأيام. وخلال الأسبوع كانت السيدة تشتستر تتناول وجبتها الأساسية عند الظهر وتجهزها لها خادمة متهورة ولكنها طيبة القلب تدعى ويني.

بدلاً من أن تأخذ حماماً قبل العشاء، ملأت حذاءها تلك الليلة بورق ووضعته بعيداً قليلاً عن المدفأة كي ينشف. وبعدها بدلت ملابسها وارتدت عباءتها وجهزت طبقاً صغيراً من السلطة.

وبينما كانت تأكل، اعادت قراءة بطاقة الدعوة والتي اصرت السيدة تشتستر أن تأخذها معها.

ومثل أي شيء متعلق بآل كراوثورن، الفنون الجميلة

الشهيرة للدلالين اكتشفت عام ١٧٤٦ ألف وسبعماية وستة وأربعين، فإن هذه البطاقة البيضاء من نوعية ممتازة والصفيحة النحاسية السوداء المدون عليها كانت منقوشة بنقش باهظ الثمن. مما لا شك فيه أن آل كراوثورن لديهم اعمالهم المطبوعة، حيث كانت اللائحات البنفسجية الفخمة المزينة بنقوش نافرة من انتاجهم.

بينما كانت تقرأ البطاقة، بدأت تفكر بأن موافقتها لحضور الحفلة لم يكن امراً مضحكاً. لم تتلق جين دعوة كهذه الدعوة من قبل وحتى لو ذهبت إلى الحفلة ستكون مثل السمكة خارج الماء. لن تعرف احداً هناك ولا واحداً من النبلاء. كل ما سيعجبها هناك فقط بعض اللوحات، ومن دون شك سيكون هناك بعض المأكولات الشهية لتأكلها.

ولكن ربما تصاب السيدة تشتستر بخيبة امل إذا لم تذهب إلى الحفلة، لأن السيدة العجوز تريد الذهاب بنفسها غير أن ساقها المتألمة وكاحلها المنتفخ جعلا الأمر مستحيلاً بالنسبة لها لتقف اكثر من بضع دقائق.

كانت السيدة العجوز تملك خزانة تحتوي على ثياب جميلة لأزياء عام ١٩٣٠. ألف وتسعماية وثلاثين، وكانت تسأل جين في بعض الأحيان أن تلبس وتعرض لها هذه الثياب لتعيد احياء ذكريات ايامها السعيدة إذ أن ثياب السهرة الأنيقة لم تعد تناسبها الآن لأن شكلها الخارجي تغير كلياً.

لو ذهبت جين مكان السيدة، فعلى الأقل تستطيع أن تصف لها ما جرى في الحفلة بالتفصيل.

قبل أيام معدودة لتلك الحفلة الخاصة، استلمت جين

رسالة من اختها آليس التي تزوجت وعاشت في شمال انكلترا وهي في غاية السعادة.

وكالعادة فإن جوهر رسالة آليس هو موضوع الأطفال. أخبرتها عن اولادها التوأم: انغس وفرغس اللذان يبلغان من العمر الثالثة عشرة، أما روري فهو في العاشرة من عمره وآبل اصبحت في الثامنة من عمرها والتي كانت تعتبرها جين وكأنها ابنتها.

ان حياة اختها كمدبرة منزل محاطة بعائلة كبيرة وتحت حماية زوج غبي لم يعد يلعب كرة قدم، بل يقضي يوم السبت يدرب فريق الكولتس، وكانت جين قد أحبت هذه الحياة لو اعطيت هذه الفرصة.

ولكن، كما اكتشفت، ان الطريقة التي تجعل الأمور تتحقق كانت دائماً قضية فرصة اكثر من قضية اختيار. فها هي مقيدة بحياة المدينة في مكان لا ترغب أن تكون فيه، وتشغل نفسها في عمل لا يهمها منه سوى أن تدفع ايجار المنزل وبعض النفقات الأخرى ولا ترغب حتى في تغيير وضعها.

ربما ستفكر أن تجد عملاً اكثر متعة خارج لندن عندما تتوفى السيدة تشتستر، ولكن أن تفكر الآن في هذا الأمر، فهذا يعني أن تترك السيدة العجوز وحيدة من غير رفيق في هذا العالم، وذلك نظراً لعدم اهتمامها بالمستأجرين الآخرين حتى ان ابن اختها الوحيد وزوجته لا يزورانها ابداً.

كتبت اليس في رسالتها.

«اصيبت آبل بزكام شديد. وسأبقيها في السرير لمدة يوم أو يومين. انها مريضة مطيعة وإلى حد ما راضية طالما

لديها حزورة معقدة تحلها أو كتاب تقرأه. كنت أنت تماماً مثلها عندما كنت صغيرة. كرهت أن ابقى مسجونة في الداخل وكرهت أن أئن كما يئن الصبية عندما يؤمرون بملازمة الفراش وطبعاً هذا الأمر لم يكن يحدث إلاّ نادراً.»

ان صورة هذه الحياة العائلية الدافئة التي صورتها آليس لاختها جين في رسالتها، أثارت احاسيسها وجعلتها تتمنى أن تكون هناك مع اختها، تفرك صدر آبل الصغيرة بالمرهم وتصنع الشراب الدافىء المخلوط بالعسل لتخفف من حدة سعالها، وتقرأ لها بصوت عال من كتب الأطفال القديمة التي اعطتها السيدة العجوز لجين لترسلها للصغيرة.

قضت جين ساعة الغداء في المكتب تكتب رسالة إلى آبل تخبرها فيها عن الحفلة التي ستذهب إليها وماذا ستختار لترتدي من بين الملابس الجميلة التي في خزانة السيدة تشتستر.

ان السيدة تشتستر تريدني أن ارتدي ثوباً مخملياً أسود صممته مصممة فرنسية تدعى مادلين فيونيت، وهي أول امرأة استطاعت أن تظهر تفوقاً في تصميم الأزياء اكثر من السابق. وهناك أيضاً ثوباً رائعاً صممه مصمم يدعى مولينكس واعتقد أن هذا الثوب يناسبني اكثر، وطبعاً سوف اسرح شعري تسريحة مميزة. ولو اردت أن اسرح شعري في مكان ما قريب من المنزل فإن غسيل الشعر بالشامبو غال جداً، لذا سأطلب من ابنة ويني وتدعى انيتا أن تسرحه لي. انها تعمل لدى مزين نسائي كمبتدئة في منطقة «ماي فير» ويقصد هذا المكان معظم الأميرات ونجوم الأفلام.

كان مسموحاً فقط لأنيتا أن تكنس الأرض من بقايا الشعر المقصوص وأن تحضر القهوة للزبائن. لكن ويني تقول بأن ابنتها اكتسبت خبرة واصبح لديها اطلاع واسع في تسريح الشعر وطبعاً هذا فقط بمراقبة مصففي الشعر.

قالت السيدة تشتستر عندما اصبحت جين جاهزة لتظهر امام السيدة: «تبدين فاتنة الجمال يا عزيزتي. لقد سرحت أنيتا شعرك بشكل جيد، وهذا الثوب يبدو رائعاً عليك، ولن يفكر احد أن عمر هذا الثوب اكثر من خمسين عاماً. ومحتمل أن لا يكون هناك الآن قماش حريري مخملي من هذا النوع الجيد، ولا حتى في دور الأزياء الفرنسية.»

نظرت جين إلى نفسها في المرآة الطويلة المعلقة في غرفة السيدة العجوز، وإلى جانبها ويني وانيتا وبدت على وجوههن علامات الرضى والسعادة.

كانت ويني قد ورثت عن اهلها الذين قدموا من المنطقة الكاريبية إلى انكلترا طريقتهم في الكلام، اما انيتا فكانت تردد لهجة افقر احياء لندن كما يتكلمن معظم الفتيات الصغيرات، ولكنها كانت تحاول دائماً أن تغير لهجتها وتردد لهجة المجتمع الراقي، التي كان يتفوه بها مصففو الشعر عندما يتبادلون الحديث مع الزبائن.

قالت لها وهي سعيدة بنجاحها في تسريح شعرها بطريقة اميركية ملساء بعدما كان في العادة مربوط بمشبك: «كان يجب ان تكوني عارضة ازياء وليس سكرتيرة يا جين.»

وكانت انيتا قد برجت وجه جين فوضعت فوق جفنيها مزيجاً من اللونين البني والبرونزي، ورسمت خطاً أخضر

داخل الجفن السفلي لتظهر عينيها الخضراوين القاتمتين.

وعندما احتجت جين على أن تبرجها قد غير ملامح وجهها كثيراً قاطعتها انيتا وقالت لها بصوت حاد: «إذا كان هذا مناسباً للأميرة، فسيكون هذا مناسباً لك، فأنت لست أكبر منها بكثير. يجب ان تسعي إلى الأفضل دائماً.»

ان الفة ومرح انيتا جعلا السيدة العجوز ترفع جفنيها وذلك لعدم موافقتها على غطرسة وتمرد جين. ولكن غضبها لم يكن مثل غضب الماضي عندما كان المنزل يعج بالخادمات. ومنذ ذلك الوقت اخذت اوليفيا تشتستر تتكيف مع بعض طرق العالم العصري وذلك طبعاً للضرورة.

قالت العجوز موافقة على كلام أنيتا: «أنيتا على حق. إسعي دائماً إلى الأفضل يا عزيزتي.»

والآن ها قد تبرجت جين وارتدت ثوباً كان سيكلف الآف من الجنيهات لو أخيط اليوم. وجين هي واحدة من الفتيات اللواتي يمكن تمييزهن وتقديرهن وذلك لأنها سكرتيرة ناعمة وانيقة إلى درجة لا يستطع أحد أن يحدق بها مرتين.

«اشعر وكأني سندريلا ذاهبة لتجول الكرة الأرضية.» قالت جين ذلك وهي سعيدة بالتغيير الذي حل بها رغم أنها بدت عصبية قليلاً لأنها ستظهر في مكان عام في زي بعيد عن زيها اليومي المعتاد.

قالت السيدة تشتستر: «لنأمل أن تلتقي فتى احلامك فمن المؤكد أنه سيكون هناك عدد كبير من الرجال الوسيمين. وأقول لك بكل صراحة ان معظم الموجودين في الحفلة لا يهتمون بالنساء. ولكن من المؤكد أن هناك بعض الرجال من بين المدعوين جديرين... ابناء يرافقون امهاتهم وهكذا، إذا

لم تعودي حتى الساعة العاشرة سأفترض بأن احدهم اقنعك بتناول العشاء معه.»

قالت أنيتا وهي تضحك: «آمل أن لا تكوني قد عنيت ما قلت فربما ورطت جين نفسها بالمشاكل.»

قالت السيدة تشتستر: «أهذا صحيح؟ يجب أن احاول التكلم خارج المعرض الفني.»

قالت انيتا: «اظهري وكأنك من طبقة راقية وتكلمي بعض الكلمات الفرنسية وبعض الكلمات الايطالية! اوه... انظري لقد داهمنا الوقت. سأتناول العشاء في مطعم ماكدونالد مع براد بعد نصف ساعة.» عندها دفعت جين ثمن تسريحتها وقالت لها: «اوه. شكراً لك.»

قالت ويني: «سنؤمن عودة الآنسة جين في سيارة أجرة يا سيدة تشتستر تبدو وكأنها تساوي مليون دولار ولا يجوز ان نتركها تنتظر لوحدها في الشارع وذلك خوفاً من أن ترتسم على وجهها علامات الاستغراب.»

لحسن الحظ، لم تكن تلك الليلة ممطرة، وهذا ما جعلها غير قلقة على حذائها المخملي اللون الذي صنع خصيصاً ليتناسب مع ذلك الثوب من ان يفسده المطر. وخوفاً من البرد، وضعت جين فوق ثوبها، معطفاً مصنوعاً من جلد الثعلب فضي اللون.

لم يكن لدى جين أي رغبة في ارتداء ذاك المعطف، وتمنت لو ترتدي معطفها اليومي وذلك افضل من أن تقترض واحداً ليش لها، ولكن ما باليد حيلة فقد اصرت السيدة العجوز، ولم يكن عندها الصبر لتسمع اراء عصرية في أي موضوع من المواضيع. وها هما قد اقتربا من الشجار مع

العلم أن الغضب والاهتياج يضران بصحة السيدة العجوز إلى أن اقتنعت ووافقت على ارتدائه.

قالت انيتا بينما النسوة الثلاث يغادرن المنزل: «نأمل ان تتمتعي بوقتك.»

والآن وبعد تمتعها بالترف غير المألوف، ارخت جين رجليها ومررت بيدها عليها، فهي تتمتع بنعومة وبر التنورة المخملية.

كل ما كانت تملكه هو زوج من الجوارب الشفاف اسود اللون اشترته خصيصاً للسهرات.

وبما أنها لم تكن تملك سوى قطعة ثمينة من الجواهر، لذا اصرت السيدة العجوز على أن تقرضها زوجاً من الحلق اللؤلؤي الحديث وحلى اخرى متنوعة. وكان عليها احجار لاصقة ولكن هذه الاحجار لم تكن من الألماس بل كانت من افضل احجار عام ١٩٣٠، الف وتسمعاية وثلاثين، إلى درجة أنه لن يكتشف احد أن هذه المجوهرات هي مزيفة إلا خبير اخصائي.

وبينما كانت السيارة غارقة في زحمة السير في منطقة ماربل ارش لتعبر زقاق بارك لين، إذ بضوء يقع على حجر السوار الذي كانت تلبسه في يدها اليسرى ويحدث لمعاناً غريباً، حصل نتيجة وهج اللون البنفسجي القاتم مع الاحمرار الفاتح للالماس المزيفة المصنوعة من الزجاج.

أما الخاتم وهو باهظ الثمن والذي وضعته في يدها كانت تلبسه للمرة الأولى، تحفظه داخل علبة منذ سنوات. وفي يوم من الأيام ستعطيه لابنة شقيقتها آبل، واملت في أن

تصادف آبل مناسبات كثيرة كي يتسنى لها لبسه اكثر مما لبسته هي نفسها.

ومن شارع بيروتر وحتى أول شارع بروك لم تكن بنايات آل كراوثورن بعيدة عن النظر.

ولكن الرحلة طالت كثيراً بالنسبة لجين، وبدأت تشعر بالغضب وبالندم لأنها اجبرت على حضور هذه الحفلة التنكرية. وتأكدت جين أن ويني لم تكن تبالغ في وصف مظهرها الخارجي بزيها وحليها المستعارة انها تساوي مليون دولار وبامكانها ان تصبح مثل أية ابنة أو اخت أو رفيقة رجل غني.

ولكن هذا المعطف وذلك الثوب وتلك التسريحة، كل ذلك يزودها بمظهر خادع ليس في الحقيقة مظهرها الأساسي كما يظهرن النسوة الاخريات. وبالرغم من مظهرها الخادع ما زالت جين تونتون واحدة من النساء اللواتي لم يحالفهن الحظ. استمرت حياتها تسير بشكل خاطىء ومن المحتمل أن لا تسير حياتها على ما يرام، على الأقل ليس كما حلمت أن تكون حياتها منذ تسع سنوات عندما خطبها نيكولاس ووضع في يدها خاتماً مرصعاً بالأحجار الكريمة.

وفي الوقت الذي اتجهت فيه السيارة إلى شارع بروك، حلق سرب من الفراشات حول وجه جين.

كانت قد نصبت اخشاب ارجوانية فوق مدخل عمارة آل كراوثورن لتظلل اشعة الشمس. وكانت السيارات تصطف بالقرب من حافة الحاجز الحجري وتنزل الركاب من السيارات. والليلة بالذات، امتد بساط ارجواني على الدرج صعوداً إلى آخر درجة توصل إلى المدخل الرئيسي. وكان

يقف في داخل الممر رجل يرتدي لباس العشاء ومهمته جمع بطاقات المدعوين، ورجل آخر يرشد المدعوين إلى غرف المعاطف الخاصة بالرجال والغرف الخاصة بالنساء.

ازداد خوف جين عندما رأت معطفاً مميزاً شبيه بمعطف السيدة العجوز وقد خافت لئلا يسرق هذا المعطف، كان المعطف محبوكاً برباط على كل كم من أكمامه. ولم يكن هناك أي احتمال لسرقة أي معطف الا عن طريق حامل مفتاح الغرفة.

وفي غرفة الزينة التي كانت تجاور حجرة ايداع الملابس، لاحظت جين بأنها خلال العشر دقائق التي قضتها في السيارة وهي غاضبة، كانت شاردة الذهن ومسحت بشفاهها كل ما وضعته لها انيتا من احمر الشفاه، لكن آثاره ما زالت واضحة.

كل من كان يحيطها من نساء رجال كانوا يثرثرون.

«كسرت سالي عنقها وهي تصطاد نهار الجمعة الماضي واعتقد انها مجنونة لتصطاد وهي حامل. لكنها تقول بأنها لم تخسر الجنين بعد.»

«يا عزيزتي، لِمَ لا تذهبين إلى دانيال؟ فهو المزين النسائي الوحيد في لندن الذي يفهم بالألوان العصرية وسمعت بعض النساء يشكرن به.»

«اتصدقين؟ هذه هي المرة الثالثة التي تحمل بها واحدة من دجاجات كارولين.»

ان فرصة المحادثات التي كانت تدور حولها، دفع جين لتشعر أنها دخيلة على بيئة بعيدة جداً عن بيئتها. ربما بدت وكأنها تنتمي للنسوة اللواتي يثرثرن وينتمين إلى تلك

الطبقة الاجتماعية العليا ولكن هذا العالم لم يكن عالمها بل كان عالم انيتا.

وعند مغادرتها غرفة ايداع الملابس، تبعت جين امرأة ترتدي ثوباً حريرياً ازرق اللون وصعدت السلم حيث كانت هناك غرفة كبيرة في الطابق الأول. وكان الضيوف يصرحون عن اسمائهم، اما هي فقابلها رجل تعرفت إليه عندما شاهدته في التلفزيون في منزل السيدة العجوز. وكان يدعى السيد تيموثي كراوثورن رئيس تلك الشركة، ومن المفترض ان تكون تلك المرأة الواقفة إلى جانبه زوجته.

«الآنسة جين تونتون.»

تقدمت جين في خطواتها إلى الأمام لتصافح رئيس الشركة المميز في مظهره.

«سررت بلقائك يا آنسة تونتون.»

من المؤكد انه لم يكن لديه أية فكرة من تكون جين. اخذت تفكر وتتساءل لماذا تزوج هذا الرجل من امرأة ضعيفة. كان لدى جين فكرة مبهمة زودتها بها السيدة العجوز، لقد كانت العلاقة بينهما علاقة عمل بين تاجرين عظيمين من السلالات الحاكمة وليست علاقة حب.

وبعدها، تسلمت جين نسخة من الصور في المعرض الباهظة الثمن. وكانت الصورة الموجودة على الغلاف صورة مشهورة وبينما كانت تحدق بتلك الصورة إذ بالساقي يقترب منها حاملاً صينية عليها أنواع مختلفة من العصير.

«شكراً لك.» ابتسمت له ومن ثم تناولت كوباً من عصير كوكتيل الفاكهة.

كانت تلك اللوحات معروضة في غرفة واسعة المساحة.

وهنا علقت اللوحات الكبيرة. اما مجموعة اللوحات المصغرة التي رسمت على قطع صغيرة من اللوحات ذات اللون العاجي فقد زينت بقعة صغيرة من الحائط بالقرب من غرفة للرقص مما اثار انتباه جين لهذه اللوحات اكثر من اللوحات الفخمة.

كانت جين تنحني على لوحة صغيرة بيضاوية وتدقق في تفاصلها والتي كانت عبارة عن فتاة صغيرة ترتدي ثوباً عالي الخصر، عندما سمعت صوتاً صدر من خلفها قائلاً لها: «ان زميلاً لي اخبرني بأن ثوبك هذا صممته مصممة تدعى مادلين فيونيت من دون شك.»

ما جعل جين تنتبه أن الكلام كان موجهاً إليها هو ذكر اسم فيونيت. فاستقامت والتفتت إلى الوراء فإذا برجل طويل القامة يرتدي بذلة خاصة بالعشاء يبتسم لها.

«كم هو ذكي زميلك هذا ليلاحظ ثوبي.» قالت جين ذلك محاولة أن تظهر أنها صاحبة هذا الثوب بالفعل وكما يجب أن يكونوا زبائن المصممة فيونيت.

«اعتقد أنها خبيرة في احدث ازياء تلك الفترة. وافترض أن بإمكانها أن تخبرك بالتحديد عن السنة التي صممت فيه هذا الفستان، ومحتمل أن تخبرك عن اسماء السيدات اللواتي اخترنه من ضمن هذه المجموعة. اما الآن دعيني اقدم نفسي. اسمي آدم فونتني واعمل لدى الشركة في قسم الألوان المائية للقرن الثامن والتاسع عشر.»

«وأنا جين تونتون. كيف حالك؟» عرّفت عن نفسها بينما كانت تتأبط (الكاتالوج) تحت ذراعها وبدلت كوبها وقدمت له كوباً بيدها اليسرى.

ومثل أي رئيس، آدم فونتني لديه قبضة يد محكمة ولكن مصافحة الرئيس لم تجعل نبضها يخفق بسرعة كما حصل الآن عندما صافحت آدم. أما لونه الأسمر فيفيد بأنه كان في إجازة قضاها مستلقياً تحت اشعة الشمس.

في هذه الأثناء تذكرت جين قول السيدة تشتستر وهي تقول: «لنأمل أن تلتقي فتى احلامك.»

هذا هو. شخصية رجل حلمت بلقائه طول عمرها ولكنها لم تفكر أن يوماً ما سوف يتجسد أمامها. طويل القامة، عريض الكتفين، قاتم الشعر، يبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاماً. ليس وسيماً بل افضل من وسيم. وكان يتميز بتلك الصفات التي تحب أن تراها في الرجل: قوي وذكي ذو عينان رماديتان، وقصبة أنف واسعة وعالية واسنان متينة تظهر من خلالها ابتسامة جميلة ودقن يدل على شخصية حاسمة ومسؤولة.

قالت جين له: «تبدو لهجة فونتني فرنسية.»

«في الأصل كانت لغتي فرنسية نظراً لاجدادي الذين كانوا من الربع مليون فرنسي الذين هربوا من فرنسا بعدما الغي مرسوم نانتس.»

ولكن مهما عانى اجداده ومهما تعرضوا لشتى انواع الاضطهاد فإن هذا الرجل لم يعان من أي شيء. فهو واثق من نفسه وتمنت لو تشاركه هذه الثقة فهو موجود في المنزل ليس كوجودها فيه غريبة تدّعي بأنها من المدعوين.

سأل آدم: «أنت آنسة أم سيدة تونتون؟»

أردفت قائلة: «آنسة. ان اغلبية النساء المتزوجات

والعازبات يلقبن بلقب آنسة أو سيدة واعتقد أنه من الأفضل أن يعطوا الرجال ألقاباً تميز فيها الرجال المتزوجون عن الرجال العازبين.»

«أنا لست متزوجا ولكن حتى تلك الألقاب ممكن أن تضلل الكثيرين عندما يعيش كثير من الناس مع بعضهم البعض، وفي بعض الأحيان يمكن وجود اشخاص يحملون نفس الاسم. وإذا كان امري يهمك وامل ذلك، فأنا لست مرتبطاً بأحد، باستثناء تلك العلاقات القديمة مع بعض الفتيات.»

ان نغمة صوته وهو يتكلم جعلت جين تطير فرحاً، لأنها كانت تكره أن يناديها احد بلقب آنسة. وحامت في رأسها فكرة في ما إذا فهم انها تريد أن تعلم إذا كان مرتبطاً بأية امرأة.

ورغم هذا البريق الموجود في عينيه وهو يقول «آمل ذلك.» يفيد أنه كان جاهزاً للبدء في التعبير عن إعجابه.

«أنت تعرفين شيئاً عني الآن، وماذا عنك؟»

«أنا عزباء أيضاً.»

«وغير مرتبطة؟»

«نعم.»

«لا استطيع أن اصدق حظي هذا.» ومن ثم تابع يقول: «كوبك فارغ. دعيني احضر لك كوباً آخر.»

وضع آدم كوبه على جانب الطاولة القديمة الطراز واخذ كوبها وذهب يبحث عن واحد من السواقي الذين كانوا يطوفون في ارجاء المنزل حاملين صواني أنواع العصير المتعددة.

وخوفاً منها أن يفسد الكوب الغطاء اللامع الممدود على الطاولة، وتعجباً منها لوجود شخص يعمل لدى شركة آل

كراوثورن يضع كوبه على تلك الطاولة اللامعة القديمة الطراز، التقطت جين الكوب وابعدته عن الطاولة.

وعندما عاد آدم ورأى جين تحمل الكوب بيدها قال لها: «لا تقلقي فكل الجوانب الأفقية محمية بغطاء من البلاستيك الشفاف وهذه حيلة يتبعها الكثير من الناس عندما يقيمون الحفلات ولا يريدون افساد اثاث منزلهم بآثار الأكواب التي تحدثها جوانبها.»

«حقاً، يا لها من فكرة جيدة!» كان عليها أن تحدق جيداً لتفحص بدقة أن الطاولة مغطاة بغطاء شفاف من اجود انواع البلاستيك.

احضر آدم مع الشراب صحناً فضياً مليئاً بالطعام.

«هيا نجلس ونتعرف على بعضنا البعض.» قال آدم مشيراً إلى أريكة مصممة على شكل جمل وكان يكسوها غطاء حريري مطبع ببقع صفراء.

لم يكن هناك طريقة افضل للتظاهر بالرزانة من دون ان تقع بفظاظة الكلام ولكن في داخلها لم تكن ترغب بهذا التظاهر. مضى وقت طويل ولم تجد رجلاً جذاباً يهتم بها. فجميع الرجال الذين يعملون معها كانوا متزوجين ولم تكن تغادر المنزل في الليل باستثناء الذهاب إلى الصف المسائي الذي كان معظم تلاميذه من النساء.

في مرة من المرات حاولت أخت جين ايجاد زوج لها ولكنها لم تعجب بأحد. لم تكن جين تهتم بالزواج لمجرد مصلحة الزواج بل كانت تريد أن تقع في الحب مجدداً، ولكن فرصة الوقوع في الحب الآن وهي في سن السابعة والعشرين اصبحت فرصة صعبة.

شعرت جين بنفسها تجلس على الأريكة مع رجل بدا مهتماً بها تماماً كما هي مهتمة به.

«والآن اصبحت تعرفين الكثير عني. اخبريني عنك. لا، انتظري... دعيني اخمن. أنت تعملين في إحدى المجلات كمجلة موغ هاربرز اند كوين، تكتبين عن الأزياء الرائجة وتجمعين وترتدين ثياب وردية اللون كهذا الثوب الرائع الذي ترتدينه الآن وربما تجمعين أيضاً لوحات مصغرة. تشاركين منزلا مع فتاة في منطقة تشيلسيا وتقضين نهاية الأسبوع مع عائلتك في غلاسيستر، تهتم والدتك بالحديقة وتعمل بالخياطة اما والدك فيشترك في شتى انواع الرياضة.»

«اخشى أن تكون مخطئاً في جميع حساباتك. في الحقيقة.»

كانت على وشك أن تصحح معلوماته عندما فكرت فجأة لماذا تصحح له؟ ربما هذه المعلومات نابعة من معدة فارغة.

كانت الحقيقة محزنة وغير واضحة. ولما لا. فقط لهذه الليلة ولما لا اكون شخصاً آخر ولما لا أكون تلك المرأة التي يمكن أن يقع بحبها هذا الرجل الوسيم؟

قالت جين باستهتار: «في الحقيقة اهلي ليسوا على قيد الحياة وأنا... أنا اعيش في فلورنسا.»

كانت هذه الكذبة أول كذبة عنيفة وصريحة كذبتها في حياتها. ولكنها لم تعد تذكر هذه الكذبة وذلك بسبب ندمها.

لكن لهذه الكذبة اثر فعّال لأنها رأت أنه سيقلل من اهتمامه بها لو اخبرته الحقيقة.

ترعرعت جين في ظل والد مستقيم والآن اصبحت تلك القوانين الصارمة التي تعلمتها من والدها عندما كانت طفلة في صراع مع رغباتها المكبوتة.

جزء من جين اراد أن يتراجع في تلك الكذبة أما الجزء الآخر منها فأراد أن تحتفظ باهتمامه لها. وكيف تستطيع أن تحتفظ به إذا اعترفت انها واحدة من آلاف بنات لندن اللواتي يعملن في شركة لم يسمع حتى باسمها؟ وكيف تستطيع أن تخبره انها لا تمارس انواع الرياضة كركوب الدراجات والتزلج وأنها لم تسافر إلى أية امكنة أو بلدان اجنبية اخرى؟

كانت جين خائفة من أنها لن تلتقيه بعد هذه الليلة. هل كان خطأ أن تعترف بأنها تسكن في مدينة ايطالية ولو لوقت قصير؟ ربما كانت هذه المدينة هي بداية لتحديد مصيرها.

«إني احسدك لأنك تعيشين في مدينة فلورنسا. انها مدينة رائعة.» قال آدم ذلك وهي تتصارع في عراك مع ضميرها النقي. ثم أضاف: «ولكن ما الذي جاء بك إلى لندن؟»

وبعدما اخذت جين الخطوة الأولى التي اسماها والدها الممر المستقيم للحقيقة، وجدت جين نفسها تنزلق في مأزق كان قد حذرها والدها منه.

«أنا... أنا هنا لقضاء عدة ايام مع جدتي فهي تعيش هنا. كان يجب عليها أن تحضر حفل العشاء هذا ولكنها طلبت مني أن آتي مكانها وبما أني لم احضر سوى ثياب عادية معي، اقترضت منها هذا الثوب وكانت قد اشترته من باريس عام ١٩٣٣. ألف وتسعماية وثلاثة وثلاثين.»

«ماذا تفعلين في مدينة فلورنسا؟»

«أنا... اتعلم اللغة الإيطالية.»

كان هذا الجواب شبه صحيح لأنها كانت تدرس اللغة الإيطالية لبعض الوقت في صفوف مسائية على أمل انها في يوم من الأيام سوف تتمكن من السفر إلى إيطاليا. تلك المدينة التي كانت دائماً تدهشها.

وقبل أن يدفع جين لتقول المزيد من المعلومات عنها تقدم منهما رجل وزوجته وعرّف جين عليهما. وبينما كان الرجل يتحدث مع آدم، اخذت زوجته تشرح لجين بأن لديهما مجموعة من اللوحات التي ساعدهما آدم على انتقائها. كان واضحاً انهما كانا فاحشي الثراء ومن الزبائن المهمين رغم بساطة ملابسهما.

كانت جين تفكر بطريقة لتخفي نفسها عندما وجه آدم كلامه إليهما: «هلا عذرتمانا؟ هناك لوحة اريد أن اريها لجين.»

وبينما كان يرشدها إلى الطريق قال لها: «آمل ألاّ تمانعي أن اناديك جين.»

«ليس تماماً. اشعر أن عليك التركيز على السيد والسيدة وترفورد ولا تهدر وقتك مع امرأة ليست شارية ولا بائعة.»

نظر إليها مطولاً وقال.

«ها قد وصل الصنف الثالث والمهم من اللوحات... وبالنسبة لك من الضروري أن تتعلمي ماذا تودين أن يقدم اليك. فليس بالضرورة ان يكون الالماس هو افضل صديق للفتاة. وأي عمل فني هو افضل برهان على ذلك. ولكنك ربما لم يكن لديك فكرة عن هذا من قبل. وربما هذا هو السبب الذي جعلك تحدقين بشدة في اللوحة المصغرة.»

هزت جين رأسها: «كان هذا مجرد اهتمام غير مقصود.»

«متى تعودين إلى فلورنسا؟»

«غداً.»

«في هذه الحال، اتتناولين العشاء معي هذه الليلة عندما تنتهي هذه الحفلة؟»

ترددت قليلاً وقالت: «شكراً لك... لكن أود لو...»

«جيد. إذا كنت سأحظى بك لاحقاً، فمن الأفضل لي أن لا اضايقك الآن. تعالي والتقي بعض الأشخاص الاخرين.»

ومن تلك اللحظة راود جين شعور بانها ليست دخيلة في هذه الحفلة خاصة أن بقربها ضيفاً جذاباً جعلها تشعر بأنها غير مجبرة على ان تكون وحيدة وان ترهق نفسها بالتفكير.

في ما بعد اصطحبها آدم إلى مطعم يدعى «انابلز» ويقع المطعم في منطقة يركلي سكوبر. وكانت جين قد سمعت باسم هذا المطعم من قبل ولكنها لم تتخيل أنها يوماً من الأيام سيصطحبها احد إليه.

كان المكان دافئاً ومريحاً وجدرانه مصنوعة من الواح خشبية زيتية دهنت بلون كلون البطيخ الأصفر وعلق عليها بعض الصور، اما المقاعد فكانت تدعم بركائز من الوسائد المرتبة بعكس تلك الوسائد الموجودة في غرفة استقبال السيدة تشتستر.

توجها مباشرة إلى غرفة الطعام حيث كانت الأكواب الخضراء تعكس ضوءها على النحاس الأصفر اللامع الذي كان يغطي العامود الضخم ومن المؤكد أن هذه الغرفة كانت

في يوم من الأيام مطابخ وحجرة غسل الأطباق والأنية وحفظها.

بينما كان آل كراوثورن ينتشرون ليتربعوا على عرش منزلين فخمين في البلدة كان يقع هناك مطعم انابلز في الدور الأرضي لمنزل مؤلف من عدة غرف واهمها غرف للألعاب كما اخبرها آدم.

ومن الطريقة التي القى فيها التحية ذلك البواب على آدم، استنتجت جين أن آدم يستفيد افادة كاملة من عضويته لهذا المطعم. استنتجت جين أنه لا يتردد إلى هذا المكان بمفرده بل يأتي برفقة النساء.

وبالرغم من أن جين تناولت الكثير من الطعام الشهي الذي قدم إليها في منزل آل كراوثورن، اخذت جين تبحث في لائحة الطعام عن طعام خفيف تستطيع تناوله لكن معظم الأطباق المدونة في اللائحة هي اطباق اساسية: كضلع بقرة ودجاج وحمام مشوي فريد من نوعه مما اثار انتباه جين وبالتأكيد لا يوجد مكان فارغ في معدتها ليتحمل ثلاثة اطباق من الطعام.

قالت جين: «لو كنت اعلم انني سأتي إلى هنا، لقاومت ذاك الطعام في المعرض.»

نظر آدم بتفحص إلى لائحة الطعام وقال: «في الحقيقة لم تجعليني آمل انك واحدة من النسوة اللواتي دائماً في حمية.» وبينما كان يتكلم، اخذت عيناه الرماديتان تخمنان ما قصد.

«أنا لست في حمية.» كانت على وشك ان يزل لسانها لتشرح له أنها في عمل تقضي معظم الوقت وهي جالسة على

الكرسي نادراً ما تحتاج للطاقة حتى تستهلك وجبات طعام كثيرة. ولكنها لم تخبره بهذه الحقيقة لأنها وجدت أن اخباره مثل هذه المعلومات يؤدي إلى طرح المزيد من الأسئلة.

اقترح آدم: «هذا جيد، ما رأيك لو نبدأ بطبق من الأسماك الصغيرة وبعدها نتناول قطعة من اللحمة؟»

لم تكن جين تعلم ما تعني تلك الكلمة الفرنسية «شاتوبريون» ولكن بما انها كانت مدونة في لائحة اللحوم، فاستنتجت جين أنها قطعة لحم غالية الثمن وبعد هذه الكلمة كتب (لشخصين).

إذا كان آدم مولع بهذا الطلب ربما توافق عليه ولكنها تعلم كل العلم أن ليس بامكانها أكل قطعة كبيرة من اللحم ومعدتها محشوة بالطعام الذي تناولته منذ قليل.

«أخشى أن يكون هذا الطلب كثيراً بالنسبة لي، افضل تناول البيض المبعثر وسمك السلمون المشوي.»

«كوجبة أولى أو كوجبة رئيسية.»

«كوجبة رئيسية.»

لم يصر عليها آدم من أجل أن لا يضايقها ولم يغير رأيه في طلب طبقين من الأكل له.

امر آدم الساقي وقال له: «ان ضيفتي تريد تناول طبق خفيف وأنا سأتناول طبقاً من السمك الصغير ومن ثم طبقاً من اللحمة وسنتشارك في طبق من سلطة الخضار. واحضر لنا زجاجة من العصير من فضلك.»

«جيد، يا سيد فونتني»

أخذ الساقي لائحة الطعام وتركهما لوحدهما.

وبعدما حدقت جين بغرفة الطعام حيث كان يتناول الطعام قليل من الناس قال آدم: «اني اتوقع أن تكوني قد زرت هذا المكان من قبل؟»

هزت جين رأسها وقالت: «ابداً.»

رفع آدم حاجبه متعجباً.

وفي هذه اللحظة قررت جين أن تسأله عن نفسه وذلك من أجل منعه من متابعة طرح الأسئلة.

«في أي جزء من لندن تقطن؟»

«أنا اعيش في مسكن مؤقت على سطح بيت في شارع البي مارل وهو مسكن صغير جداً لدرجة أن هرة لا تستطيع أن تلوح بذنبها فيه. ووالدي تاجر قديم في سفولك اما أمي فقد ماتت منذ سنتين وتركت والدي وحيداً، لذا احاول أن اعود إلى المنزل في نهاية كل اسبوع لابقى في رفقته.»

كان لدى جين قريب بعيد يعمل في تجارة الاثار القديمة في سفولك وكان قريباً لأمها، وبما أن والديها قضيا معظم حياتهما الزوجية في الخارج فلم تكن علاقتهما معه متينة. ولم تذكر هذا لآدم.

اخذ آدم وجين يتبادلان الحديث عن المعرض، بينما كان آدم يأكل طبق السمك الصغيرة. اما هي فكانت تغمس اوراق الخضار والجزر بشكل شهي.

قال آدم لجين فجأة: «اني احاول أن اتذكر بمن تذكرينني. والآن تذكرت؟ أنت تشبهين امرأة في لوحة عرضت في معرض وقد اقيم هذا المعرض في مدينة كولونغاي منذ عدة سنوات. لقد نسيت اسم الحاضنة التي كانت في اللوحة ولكني اذكر اسم ذاك الرسام وهو السيد

فرانك برنارد دكسي وهو اعظم الرسامين في عهد الملكة فيكتوريا. وهذه الصورة كانت موجودة في الكاتالوج. سآخذها وانسخها لك. من يدري؟ ربما كانت لوحة من لوحات اجدادك.»

«لا اعتقد ذلك.» قالت جين وهي متأكدة من أنه ليس هناك احداً من اجدادها قد رسمت صورته في أية لوحة.

تابع آدم يقول وهو ينظر إليها بدقة: «قدم هذه اللوحة مالك خاص واذكر هذا الوجه بوضوح الآن وانت تشبهينها كثيراً. كانت امرأة رائعة.»

عبرت جين عن شكرها لاطرائه لها ببسمة كانت تناقض ما يعتريها من اختلاجات.

تابع قوله: «ولكن ما ازعجني في تلك المرأة ذاك التناقض الذي كان ظاهراً بين تعابير عينيها اللطيفتين وتعابير ذقنها الشديدة العزم. كانت ابنة عضو في البرلمان وزوجة رجل شرطي وتملك نظرة فضولية بريئة بالرغم من انها امرأة متزوجة.»

شعرت جين بالخجل وقالت: «لم يكن هناك في عائلتي أي رجل يعمل في البرلمان، افترض انك تذهب إلى جميع المعارض الفنية الضخمة.»

«نعم، لقد زرت معظمهم. لكن لا أرى ميزات كثيرة في تلك المعارض لاقارنها مع المعارض الرائعة التي تقام في فلورنسا. إذا لم تزوري هذا المكان من قبل ربما تجهلين أن صاحب هذا المعرض هو ابن الرسام سير اسفالد بيرلي.»

ومن اجل أن تبعد عنها شبح ورطة فلورنسا قالت: «اعتقد

اني رأيت واحدة من اعماله... لوحة تضم رجلين وامرأتين...»

«صندوق المسرح هذه هي اللوحة. فحفيدة سير اسفالد.... اندیا جين بيرلي... هي أيضاً رسامة موهوبة. ان طريقة الابداع الموروثة من جيل إلى جيل شيء رائع. اليس كذلك؟»

في هذه الاثناء، جهزت الوجبات الاساسية وسأل آدم جين لو كانت تعلم أن مزج البيض المبعثر مع السمك المشوي يشفي الانسان من الألم الذي يصيب المرء عند امتلاء معدته بالغازات.

قال بطريقة جافة: «اعتقد انك لم تجربي هذا الألم من قبل.»

وافقت على كلامه وقالت: «لا، لم اجرب. هل اصبت أنت بكثير من الآلام؟»

لم يبد آدم انه من النوع الذي يشكو من آلام ما، كان فكه مشدوداً وليس ليناً. ربما عاش على هواه ولكنه لم ينغمس في حياة لاهية.

لو لم تكن جين تعلم بطبيعة مهنته لما عرفت حقيقته فهو رجل نحيل البنية مقارنة بالرجال الذين شاهدتهم على التلفاز ويسيرون ببطء في طريقهم ليزيلوا بعض الصخور حتى يصلوا إلى قمة الجبل المتعذر الوصول إليه.

قال آدم: «لم اصب بأي ألم [illegible]»

وبعد أن تناولا الوجبة الرئيسية وقبل أن يشربا القهوة، رقص آدم وجين على انغام الموسيقى على أرض كانت مكتظة بالراقصين والراقصات ومع اضاءة تنير الغرفة.

www.elromancia.com

ثم بعد ذلك اصبح عدد الراقصين كبيراً جداً مما جعل غرفة الرقص تعج بالحركة. شعرت جين بارتباك وتساءلت في نفسها كيف يمكنها أن تضع حداً لهذه السهرة؟

وبالرغم من مرور وقت طويل على تجربة مثل هذه التجربة الا ان جين لديها خبرة في هذا المضمار.

وبما أن جين كانت تعيش مع جدتها كما ادعت، عليه أن يعلم أنه لن يستطيع دخول منزل جدتها عندما يصطحبها إليه.

وإلى تلك اللحظات كانت تشعر بالهدوء وتسعد نفسها، ولكن، في حال وصوله إلى منزلها، لا تدري ان كانت ستتراجع عن الكذب وتقول الحقيقة.

وإذا سمحت له بمرافقتها إلى الباب سيعرف أين تعيش وربما اكتشف عندها حقاً من تكون وان ما اخبرته إياه كان نصف الحقيقة واختراع كامل من نسج خيالها.

وإلى حد ما عليها أن تعطي آدم الطعم لئلا يكتشف أنه امضى سهرة برفقة فتاة لا تعرف شيئاً عن مدينة فلورنسا سوى القليل من المعلومات كانت قد قرأتها في الكتب، مع فتاة تفقد حياتها التي تحتاج إليه المرأة لتلفت اهتمام آدم فونتني لاكثر من بضع ساعات.

الفصل الثاني

كانت الساعة حوالي الحادية عشرة والنصف وهما يتناولان القهوة عندما اتصل أحدهم هاتفياً بآدم.

وبدت هذه الفرصة ذهبية لكي تهرب. ولكن إن أمسك بها وهي تحاول الفرار، فما هو العذر الذي يمكن أن تعطيه جين لتبرر هذا التصرف الغريب؟ ربما من الأفضل لها أن تقول له بأنها تفضل الذهاب إلى بيتها بمفردها. وعندها لن يصرّ على مرافقتها، أو هل يصرّ؟ وخطر ببال جين أنه ليس رجلاً عادياً، فهو من نوع الرجال الذين يعطون التوجيهات ولا يتلقونها، وقد احب دائماً اسلوبه الخاص في الحياة.

وفيما كانت جين تتساءل وتتردد، عاد آدم وضاعت من بين يديها فرصة الهرب.

وكي يريحها آدم قال لها: «اخشى أن يكون لهذه الأمسية الرائعة نهاية غير متوقعة. هل من مانع لو ارسلتك بمفردك إلى منزلك بواسطة سيارة أجرة؟»

«لست على ما يرام. ماذا جرى؟»

«ان والدي تصارع مع لص، لم يتأذ. لكنه يبلغ من العمر ثلاثة وسبعين عاماً، وبالطبع هذه صدمة بالنسبة لرجل في هذا السن، اعتقد أنه يجدر بي الذهاب وان لا اتركه وحيداً إلى الغد.»

«نعم، طبعاً، يجدر بك الذهاب في الحال. سأحضر

معطفي. لِمَ لا تذهب أنت الآن؟ فربما تكون حجرة ايداع الملابس مكتظة بالناس. والحاجب سيحضر لي سيارة.»

«لا، لا، ليس الأمر ملحاً لهذه الدرجة. اريد رقم هاتفك. هذه هي بطاقتي. ما رقم هاتفك في فلورنسا؟»

كانت جين تعلم أن المفتاح الدولي لإيطاليا هو رقم ٣٩ وبما انها تأكدت لمديرها من رقم مدينة ميلانو منذ عدة ايام، فقد كانت على يقين أن مفتاح مدينة فلورنسا هو ٥٥.

قالت جين وهي تشعر بالسخافة: «٥٥٦٦ ـ ٥٥ ـ ٣٩ ـ ٠١٠» ومن ثم راقبته وهو يدون باختصار هذا الرقم المزيف خلف مذكرته اليومية.

وبعد عدة دقائق، رأى آدم جين تجلس في سيارة بعد أن ادعى انه سيمشي هذه المسافة القصيرة إلى بيته.

سأل سائق السيارة آدم اعتقاداً منه أنه سيرافق جين: «إلى اين يا سيدي؟»

قدمت جين عنواناً إلى السائق في شارع ليس بعيداً عن مكان اقامتها.

قال آدم لها: «سأتصل بك عندما اعود إلى لندن.» وانحنى إلى نافذة السيارة وقال: «لقد تمتعت بهذه السهرة وآمل أن تكوني قد تمتعت بوقتك أيضاً. تصبحين على خير يا جين... أو الأفضل أن اقول إلى اللقاء.»

كان الضوء في غرفة جلوس السيدة تشتستر مطفأ عندما اوصل سائق السيارة جين إلى عنوانها الحقيقي بعدما ارشدته مرة ثانية، فشعرت بالارتياح.

وهذا يعني أن السيدة العجوز كانت تقرأ في سريرها أو كانت تشاهد عرضاً تلفزيونياً في ساعة متأخرة من الليل،

وذلك لأنها مصابة بالأرق نادراً ما تنام قبل الساعة الواحدة أو الثانية بعد منتصف الليل وبصورة متقطعة.

كم أنا ممتنة لتجنب طرح الأسئلة الآن عن هذه السهرة. ومشت جين على اطراف اصابعها وصعدت السلم.

وفي هذه اللحظات راحت تفكر بآدم. ربما يكون في طريقه إلى سفولك، الا إذا كان والده يعيش في الطرف الجنوبي من هذه المدينة، وتستغرق قيادة السيارة ليصل إلى ذاك المكان على الأقل مدة ساعتين وربما اكثر حتى ولو لم تكن هناك زحمة سير في هذا الوقت.

ولكن ربما توقف في طريقه لتناول القهوة.

وإذا بدأ يشعر بالتعب سيتغلب على مشقة الطريق ويأخذ قسطاً من النوم أو يسهر ويمدد قدميه.

حكما منها على طريقة كلامه، فإن نظرة آدم للحياة كانت خليطاً من المسامحة والمرح وما يدعوه مدير جين، (الفطرة السليمة)، لم تكتشف هي تلك النظرية لكنها متأكدة من أن السيارة التي يمتلكها آدم لم تكن من السيارات الفائقة السرعة وبالتالي لن تهدد سلامة حياته.

وكالنائم المتعب، نامت جين بسرعة وذلك ربما لأنها لم تكن معتادة على تناول وجبة طعام في ساعة متأخرة من الليل. لكن لم يكن هذا هو السبب المباشر والرئيسي بل كان تأنيب ضميرها.

كان تصرفها خلال السهرة بعيداً كل البعد عن طبيعة شخصيتها، فالخداع والأكاذيب والادعاءات لم تكن ابداً جزءاً من شخصيتها الحقيقية. وحتى هذه الكذبة الوحيدة التي كذبتها جين في هذه الليلة، كانت من أجل مصلحة الغير لكن على حساب نفسها.

وفيما اعادت جين التفكير بما جرى في الحفلة، وجدت نفسها مضطرة على أن تستنتج أنه كان عليها أن تكون اكثر كتماناً. ما الذي يجعلها تتصرف تصرفاً جنونياً مستهتراً كهذا التصرف؟

لم يكن هناك هاتفاً في غرفة جين. ولكن في الصباح التالي وفي المكتب ستحاول عدة مرات ان تبحث عن رقم هاتف والد آدم في سفولك. وإذا رد آدم على الاتصال ستسأله أولاً عن صحة والده وبعدها سشرح له وتعتذر عما بدر منها في الحفلة.

ولكن في كل مرة تحاول فيها الاتصال تخونها شجاعتها. ما المشكلة حقاً؟ وحتى لو غفر لها تصرفها هذا فلن تكون هناك علاقة مستقبلية بينهما. وحين يكتشف كم كانت امرأة كاذبة ومخادعة، فلن يرغب في متابعة صداقتهما. وان فعل، فعاجلاً أم آجلاً ستضطر أن تخبره عن قصة نيكولاس والتي ستضع حداً نهائياً لهذه العلاقة.

قالت السيدة تشتستر عندما دخلت جين غرفة الجلوس ذاك المساء: «شكراً لك لأنك تركت الكاتالوج في حقيبة معلقة على مقبض الباب، لقد احضرته ويني لي عند عودتها. تمتعت طوال النهار بالنظر إلى هذه الوجوه الرائعة التي رسمها اعظم الرسامين. والآن اخبريني عن هذا المعرض الفني، هل تمتعت به؟»

«كثيراً.»

أخذت جين تصف ثوب زوجة ثيموثي الغير لائق، والشخصيات الشهيرة التي تعرفت إليهم وشرائح الفطر المحشوة بالموز والجبن، والتين الطازج والأزهار

الجميلة ودبابيس الزينة المصنوعة من الالماس ومجوهرات أخرى والعطور ذات الرائحة الذكية وكل ما تذكرته من ادق التفاصيل.

«وبعدئذ؟ هل اتيت مباشرة إلى البيت؟لا، لم تعودي، لأنك لو عدت باكراً لجئت ورأيتني. هل قابلت شخصاً ما وذهبت معه إلى مكان ما.»

«نعم. لقد تناولت الطعام في انابلز.»

«مطعم انابلز. انه مكان رائع... وفخم من كان المتيم؟»

ضحكت جين وقالت: «انه ليس متيماً يا سيدة تشتستر... انه مجرد معرفة عابرة واشك انني سأسمع عنه مرة أخرى.»

«اعرف انني لن اسمع عنه أي خبر.» قالت وهي تفكر بحزن. ولأنها لا تستطيع اخبار السيدة اللطيفة عن اسم آدم الحقيقي وعلاقته بآل كراوثورن خوفاً منها أن تحاول تزويجهما، اضطرت جين أن تعطي آدم اسماً آخر وهو جون كينستون. وادعت انه كان شخصاً يسكن خارج البلدة وقد عاد الآن من حيث اتى.

ولغرابة جين لم تبد السيدة العجوز رأيها في ما إذا كان تناول الطعام مع رجل غريب في الليل بمفردها امراً مسموحاً. لكن ربما فكرت السيدة أن مجرد حضوره إلى منزل آل كراوثورن كان ضماناً لها لتتأكد من انه كان شخصاً مميزاً ولم يصب الفتاة بأي مكروه خلال تناولهما العشاء في انابلز.

سألت السيدة العجوز: «هل احضرك إلى المنزل؟»

«لا. فقد كان عليه أن يسرع ليستقل القطار ولم يكن لديه وقت كاف ليصطحبني.»

ومن اجل أن تبعد عن نفسها كثرة الأسئلة، غيرت جين الموضوع وأخذت تسأل السيدة العجوز أية لوحة احبت اكثر.

في ما بعد وقبل ان تصعد جين إلى غرفتها قالت السيدة: «على كل حال، لقد تمتعت بوقت جميل هذه الليلة مما جعلك تبدين في احسن حالاتك. فالفتاة في عمرك تحتاج لمزيد من المرح اكثر مما تفعلين أنت يا عزيزتي. اعتقد بانك قمت بعمل احمق يجعلك تتحملين عبئه. لا تكوّني قاسية مع نفسك فكلنا نعمل اخطاء كما تعلمين، ولكن أخطاءك يمكن أن تغتفر اكثر من اخطائنا.»

توجهت جين إلى السيدة وقالت وهي متأثرة: «انك لا تدرين كم تعني لي صداقتك، فالتكلم معك والوثوق بك يعنيان لي الكثير. لا أستطيع ان اعبر عن ذلك.»

«يا طفلتي العزيزة، انا هي الشاكرة، فليس هناك الكثيرات من الفتيات في جيلك لطيفات مع مريضة عجوز مقعدة مثلي. لا تعتقدي أنني لا اقدر لك كل ما تفعلينه من اجلي. واتمنى لو أني استطيع أن اترك لك هذا المنزل، ولكن زوجي اوصاني أن اتركه إلى ابن اخته بعد موتي. لم يفكر زوجي العزيز ادغار أن ابن اخته موريس سيتغير ويصبح رجلاً أنانياً. وكما تعلمين هو وزوجته لا يزورانني ابداً، لكنهما سيفعلان كالنسور عند [illegible] موت. فهما يعلمان بوصية ادغار. وحالما تنتهي مراسم الجنازة سيطردان جميع الخادمات ويعرضان المنزل للبيع.»

قالت جين مبتسمة: «في هذه الحالة عليك أن تقاومي جاهدة لتصلي عامك المئة.»

قالت السيدة العجوز وهي تضحك بصوت منخفض لهذا التنبؤ: «نعم، إذا عمرّت اكثر من موريس في استطاعتي حينها أن اورثك المنزل. انه لا يحتاجه، وأنت والآخرون بحاجة إليه، بالرغم من أنني أفضل أن اراك سعيدة وانت متزوجة على أن ترثي المنزل من بعدي. اذهبي يا عزيزتي، تبدين متعبة من الليلة الماضية وسنتكلم مجدداً غداً.»

مرت الأيام، وأصبح الربيع على الأبواب وهي تفكر بآدم. وفي بعض الأحيان أخذت تفكر في ما إذا توصل إلى نتيجة عندما حاول الاتصال بالرقم الذي اعطته اياه واكتشف عندها انه لا يوجد رقم مثل هذا.

ولكنه ربما اعتقد انني شوشت على رقم الهاتف أو ربما لم يسمع الرقم جيداً.

وحتى لو أحبها فعلاً كما بدا عليه لقام ببعض التحريات للتقصي عنها. وحتى لو قام بهذه التحريات فإن جميع الأجهزة الأمنية ستفشل جميعها في تعقب شخص حضر معرضاً خاصاً في هوية شخص آخر.

ان الطريقة الوحيدة للقائهما مجدداً هي الصدفة. وفي مدينة كمدينة لندن فإن فرصة لقاء شخصين يعيشان في مناطق مختلفة لا تتصل ببعضها البعض كانت فرصة نادرة ومستحيلة.

كان عالم آدم، عالم السهر وعالم اقتناء السيارات وقصد المحلات الغالية كمطعم الثلاث نجوم وهاتشردز وقص شعره في صالون ترمبرز وقضاء عطل نهاية الاسبوع في عدد من منازل البلدة.

أما عالمها فهو عالم الاعمال الادارية. تصطف وتركب

الباصات وتحتمل ضغط وازدحام السيارات في الشوارع لتشتري سندويتشاً لوجبة الغداء. وعند نهاية الاسبوع، تأخذ حمام شمس في الحديقة العامة.

امضت جين العيد الكبير مع اختها آليس وزوج اختها بيل واطفالهما وزينت لها آبل، بيضة دجاج كان والدها قد نفخ منها صفار البيض وأصبح بإمكانها أن ترسم عليها الإزهار الملونة.

قالت لها وهي تعانقها: «يا عزيزتي، انها رائعة، سأحتفظ بها مع كنوزي الثمينة.»

بدا لها أن هذه الطفلة تخفف من ضجرها ومللها الدائم من قبل افراد عائلتها الذين يعيشون بعيداً عنها.

وبعد فترة وجيزة من عطلة العيد، اندهشت جين عند استلامها رسالة من ابن العم العجوز هيكتور الذي حصل على عنوانها عندما اتصل باختها وجاء في رسالته:

«اود أن تأتي وتزوريني وكلما اسرعت كلما كان هذا أفضل. لا استطيع ان استضيفك في المنزل ولكن فندق القرية الصغير يستقبلك. العمل هنا سيىء للغاية وليس لدي خط هاتفي. سوّي امورك مع صاحب الفندق بما فيه المبيت والطعام وهو سيعلمني بموعد حضورك لأنني اتناول وجبة الغداء هناك معظم الأيام.»

وفي نهاية الأسبوع التالي، سافرت جين إلى سفولك بالقطار ومن ثم انتقلت إلى قرية لونغ غوزبك بالباص حيث انزلها خارج القرية بعدما دفعت الأجرة.

كان صاحب الفندق مشغولاً فاصطحبت زوجته جين إلى غرفة صغيرة نظيفة في الطابق الأول وأخذت تريها المكان.

قالت زوجة صاحب الفندق: «ان السيد بكلز شخصية غريبة الأطوار كما يدعونه بعض الناس، وهو حاد الطبع في بعض المناسبات لكنه لطيف كالنعجة في معظم الأوقات. واعتقد أنه ليس على ما يرام في هذه الأيام. لم يأكل وجبة كبيرة كما اعتاد أن يتناول. ليس سهلاً على المرء ان يوجه نفسه نحو الصواب في هذه الأيام.»

ولوصولها متأخرة للقاء هيكتور في الفندق، أخذت جين تفرغ محتويات حقيبتها قبل أن تتلقى التوجيهات من زوجة صاحب الفندق.

كانت القرية على امتداد كبير لأراضٍ مشتركة يقاطعها جدول يسمى غوز بك، وكان يقع على مقربة من نهاية الشارع الفندق ومكتب البريد ومركز الشرطة، أما معظم المحلات بما فيها المحلات التي تحتوي على آثار قديمة وتحف مثيرة للانتباه فكانت تقع على الجانب الآخر من الشارع.

كان على باب محل هيكتور اشارة كتب عليها «مقفل» لكن جين قرعت الجرس، ورأت هيكتور يمشي وهو يجر قدميه قادما من الغرفة الخلفية، وعندما فتح الباب اندهشت لرؤيته.

بدا هيكتور وكأنه مندهش لحجمها: «كم أنت طويلة ونحيلة. ادخلي، إني أجهز الشاي. اترغبين بتناول البعض منه؟»

لقد اختلط الحابل بالنابل داخل المحل واختلطت الاشياء القذرة بعضها ببعض وكأنها موجودة في هذا المكان منذ زمن بعيد.

كانت الغرفة الخلفية شبيهة بباقي الغرف باستثناء وجود كنبة قديمة ومريحة وكرسي نصب امام الطاولة.

«اجلسي، لن أتأخر.» اختفى هيكتور وتوجه إلى غرفة غسل الاطباق ليعود بما يلزم لتحضير الشاي وببقايا الكعك المتبقي على صينية معدنية.

كان هيكتور يسكب الشاي من الآنية الخزفية عندما قرع أحدهم جرس الباب.

«انظري من الطارق يا عزيزتي، هلا سمحت؟ إذا كان أحداً من التجار فأنا موجود بالداخل وإذا كان شخصاً آخر قولي له انني اخذ قسطاً من النوم ولا يمكنك ازعاجي.»

كانت جين على مقربة من الباب عندما بدأ قلبها ينبض وكان الرجل المنتظر في الخارج يعطي ظهره للباب. وعندما التفت وحدق من خلال جزء مفتوح من الزجاج تعرفت إليه على الفور.

كان آدم فونتني.

سأل هيكتور، عندما دخلت جين إلى الغرفة الخلفية بسرعة: «من الطارق؟»

«يبدو أنه تاجر. اين الورق القديم يا عمي هيكتور؟»

«خارج الباب الخلفي للجهة اليسرى.» قال هيكتور وهو يهز اصبعه هزاً عنيفاً على كتفيها.

قبل أن تتراجع جين في خطواتها انتظرت قليلاً لتكتشف سر وجود آدم في متجر لبيع السلع المستعملة.

كان آدم يقف بالقرب من باب المتجر الذي كان مفتوحاً جزئياً عندما سمعت جين هيكتور يفتح الباب وسمعت آدم يقول: «مساء الخير. امل أن لا اكون قد

ازعجتك لكني أريد أن القي نظرة على الساعة المعلقة على الحائط.»

«لكن الورقة المعلقة تقول «مغلق» الا يمكنك القراءة ايها الشاب؟»

«نعم يا سيدي. لكني نادراً ما اسلك هذا الطريق ومعظم التجار يتيحون الفرصة لزملائهم في المهنة.»

«وكيف أتأكد انك تعمل في التجارة؟ فكل الناس يقولون انهم يعملون في التجارة من اجل ان ينالوا سعراً خاصاً. لا استطيع ان اصدق.»

«هذه هي بطاقتي يا سيدي.»

«آدم فونتني... فونتني!» كرر هيكتور هذا الاسم بلهجة حادة.

سمعت جين آدم يقول: «بالتأكيد تعرف والدي فهو يتاجر في منزله في شارع غريت مي برغ وهو يعمل في التجارة منذ ان ترك الجيش عام ١٩٤٦ ألف وتسعماية وستة وأربعين.»

«بالطبع اعرفه، وعليك أن تخبره عن لساني اني لا أبيعه شيئاً حتى ولو كنت على شفير الافلاس، ولن اصبح مفلساً قبل مدة طويلة. اخرج من متجري ولا تعد إليه نهائياً. اسمعتني؟ بعض السجناء لديهم مبادىء اعلى مما لديكما أنت ووالدك.»

«اعتقد بأنك مخطىء، وتظنني شخصاً آخر يا سيدي، وكما اظن لم نتكلم مع بعضنا منذ فترة طويلة. جئت إلى محلك عدة مرات في الماضي...»

«اخرج... اخرج... اخرج قلت لك! اخرج من عمارتي في هذا الوقت والا طلبت لك الشرطة أيها السافل.»

www.elromancia.com

ومن الغرفة الخلفية سمعت جين كلام ذلك الشاب وهو يصرخ بصخب. انه اصيب بنوبة قلبية.

عندما عاد هيكتور إلى الغرفة ورأى وجه جين، عاد وجهه ارجوانياً يميل إلى الاحمرار.

قال هيكتور بفظاظة «احتاج لشيء يهدىء اعصابي. يا لوقاحة هذا الشاب... عاد مجدداً إلى هنا بعد كل ما فعله بي.»

«ما الذي فعله بك يا عمي هيكتور؟»

«ليس هناك داعي لتكوني رسمية معي. سمني هيكتور فقط. لقد سرقني. هذا ما فعله بي. سرق مني الآف الجنيهات. اسكبي الشاي، الشاي أيتها الرائعة.» وتحرك هيكتور فجأة وجلس على الكرسي الهزاز، ثم ملأت جين فنجانه بالشاي فقال لها: «اتشربين القليل؟»

هزت جين رأسها وقالت: «لا شكراً. ولكن كيف سرقك يا هيكتور؟»

كان هيكتور قد بدأ في استعادة هدوئه فقال: «في وقت كان العمل أفضل مما هو عليه الآن. لقد اعتدت ان اعين مساعدين لوقت جزئي من النهار ليهتموا بأمور المتجر بينما كنت اخرج لشراء بضائع جديدة. ومعظم المساعدين كن من النساء المتزوجات أو الأرامل من الطبقة الوسطى. كن سعداء لخروجهن من منازلهن ليكتسبن القليل من المال بطريقة سهلة. كنت تلتقين بأناس رائعين يهتمون ببيع السلع القديمة وليس كما الآن. اعتدت ان ابيع السلع القديمة، وكان واجب النساء ان يلمعن ويزلن الغبار عن هذه السلع، وحتى انه كانت هناك امرأة تقوم بتحضير الأزهار.»

تنهد قليلاً وأخذ رشفة من الفنجان متأملاً تلك الأيام الماضية لبضع لحظات.

تابع هيكتور كلامه: «في يوم من الأيام كنت محظوظاً. اتعلمين من كان فابرج؟»

«هل كان صائغ مجوهرات روسيان؟» سألت جين وهي غير متأكدة.

اومأ الرجل برأسه: «هذا صحيح... إنه صائغ في عهد تسار الكسندر الثالث وهو المزود للملكة الكسندرا بالحلى الصغيرة ومعظم كبار هذا العصر. حسناً لقد اشتريت مرة قطة صغيرة جميلة مزخرفة صنعها هذا الرجل العظيم وهي عبارة عن قطعة منقوشة بلون ازرق رمادي من العقيق الأبيض ولها عينان من الماس وشعر رمادي معتدل الطول. كانت هذه القطة فريدة من نوعها لدرجة انني فكرت ان اؤمن عليها في البنك ضد الأوقات الصعبة، ولكن كانت هناك بعض المشاكل مع المصرف، وكنت املك عربة كبيرة في ذلك الوقت وكانت بحاجة لبعض التصليحات المكلفة. ولما نفذ مني المال، وضعت الهرة في الواجهة وسعرتها بسعر ٢٥٠ باوند. ولكن تلك المرأة اللعينة المجنونة اعتقدت ان سعر القطعة ٢،٥٠ باوند من ٢٥٠ وباعت بهذا السعر إلى ذاك الرجل الذي يدعى فونتني.»

«ولكن بالتأكيد لو عرض القطعة على والده لعرف السيد العجوز انها كانت غلطة.»

«ان الشاب نفسه يعلم بسعرها. اتعتقدين ان ابن اكبر التجار في هذا البلد يحتاج لمن يخبره انه لا يستطيع شراء قطعة من قطع فابرج بقيمة خمسين شلنا؟ بالطبع كان يعلم

فهو وحش كالحيوانات يعمل لحساب آل كراوثورن في لندن ومنغمس في اهوائه وحماقاته مع اجمل وارقى فتيات المجتمع. في يوم ما سيرفس صاحب الشركة هذا الولد من عمله ويضع يده على كل مصالحه وسيكون فوزه بالتجارة شبه مضمون كما يقولون. فالفتى لص والوالد يصفح عن السرقة من أجل الكبرياء المصطنع، فلا مفر من هذا.»

سألت جين: «هل ذهبت وزرت والده عندما اكتشفت ما حدث؟»

«رفض ان يراني... ورمى بي خارج العمارة. اترين كم هو قليل الضمير؟ كان يعلم بما سرقه مني ولده اللعين. وهذا هو السبب الذي جعلني اتمتع برميه خارج المتجر الآن. العين بالعين. لن يكترث بما فعلت به، ولكني اتساءل لِمَ رغب بشراء تلك الساعة فهي لا تساوي الكثير، الا إذا كان يعلم شيئاً عنها وأنا اجهله وهذا غير محتمل، لأنني كنت اعمل في التجارة تماماً كوالده ولنفس المدة وربما اكثر ولست جاهلاً بما يتعلق بالتجارة.»

وطوال فترة بعد الظهر، ظلت جين تستمع إلى تذكر الاحداث التي عاشها وكيف بدأ بالتجارة عام ١٩٣٠ ألف وتسعماية وثلاثين، عندما كانت المسألة ليست مسألة ايجاد سلع بل كانت مسألة إيجاد زبائن لشراء هذه السلع.

«لم يكن هناك اشخاص يهتمون بالسلع القديمة الطراز في ذاك الوقت، والآن بوسعك ان تجدي شخصاً يمتلك مجموعة من تلك السلع. ولكن في تلك الأيام كان المهتمون بتلك السلع قلة. كان اثاث القرن الثامن عشر هو السائد انذاك، أما الأشياء الموجودة في عهد الملكة فكتوريا فكانت نفاية

وحتى القطع الباهظة الثمن لم تكن تباع الا إلى قلة من الناس الفطناء.»

استمعت جين إلى هيكتور وحضرت الشاي مرة ثانية، ثم جلست لتستمع إليه مجدداً ولكن قسماً من عقلها كان يفكر بآدم.

لم يكن محتملاً ان يكون قد تعرف عليها من لمحة قصيرة من خلال قطعة زجاج الباب المظلمة. وحتى لو رآها بوضوح وهي ترتدي بلوزة وبنطال جينز وشعرها المثبت بمشبك مرفوع عن وجهها مع قليل من التبرج فهي تشبه قليلاً تلك الفتاة التي اصطحبها إلى مطعم انابلز.

كانت جين على وشك أن يزل لسانها لتسأل هيكتور عن المسافة التي تبعدها غريت برغ عن غوزبك ولكن قررت أن ذلك السؤال غير مناسب، لتجعله يتذكر ذينك المنبوذين، وستسأل الناس في الفندق في ما بعد.

كان الوقت حالك الظلام عندما غادرت جين المتجر لتعود إلى تراول اند هامر. بعد أن وافق هيكتور على اقتراح جين في ان يتناولا وجبة مسائية في ذلك الفندق.

لم تتذكر جين أن هيكتور لم يشرح لها سبب دعوته لها بالمجيء لزيارته الا عندما عبرت الجدول عبر الجسر.

قالت زوجة صاحب الفندق في اليوم التالي عندما رأت جين: «سأل عنك رجل في وقت مبكر يا آنسة تونتون.»

سألت جين: «سيد؟ من؟»

«شاب يدعى السيد فونتني من بلدة غريت برغ. لم يسألني عنك باسمك، دخل إلى الفندق وطلب بعض عصير الفاكهة وأخذ يتحدث معي من دون أي كلفة. بعدها اخبرني

بأنه رأى سيدة شابة في محل هيكتور وكنت تعملين كمساعدة جديدة له. قلت له انك لست مساعدته بل قريبته وجئت إلى هنا لزيارته. وعندما سألني إذا كنت ستبقين هناك قلت له أنك لن تقيمي هناك نظراً لوضع المتجر. قال عندها انه سيتصل بك لاحقاً. لكني لم افهم ما الذي يريده منك إذا لم يكن يعرفك؟»

قالت جين: «ليس عندي أية فكرة. هل اخبرته عن اسمي؟»

«نعم، لقد اخبرته. لم أر أي ضرر من ذلك. هل اخطأت؟»

«لا. ليس تماماً يا سيدة وستورد. هل يوجد سيارة اجرة في هذه القرية؟ اعتقد ان هواء البحر يجعل السيد بكلز بحالة أفضل. سنذهب إلى الشاطىء لتناول الغداء اليوم.»

«اعتقد انه ليس هناك سيارة أجرة هنا. هل يمكنك القيادة بنفسك؟»

أجابت جين أن بإمكانها القيادة فقد علمها نيكولاس ذلك وما زالت تحتفظ برخصة القيادة. وفي بعض الأحيان وعندما تكون مع آليس، تأخذ الأطفال خارجاً في النهار لتؤمن لاختها قسطاً من الراحة.

«سأكلم زوجي، ربما تستطيعين ان تقترضي سيارتنا فانك تبدين سائقة حذرة.»

لم يمانع زوجها. لكن هيكتور رفض أن يوقع الفوضى بيومه العادي لدى قيامه بهذه الرحلة الممتعة إلى الشاطىء وأخذت جين تتوقع المشهد المربك إذا عاد آدم ورآهما يتناولان الغداء في الفندق. ومع ذلك أخذت جين تلاطف هيكتور وتحثه على الموافقة.

ذهب هيكتور وجين إلى فندق صغير نصحتهما السيدة وستورد بالذهاب إليه، وهذا الفندق قد فتح من أجل النزلاء الغرباء، وقد قدم إليهما غداء مما ذكر جين بالوجبات التي كانت تقدم إليهن في المدرسة. فقد كانت جين واختها آليس في مدرسة داخلية للبنات، وبقيتا فيها من سن العاشرة إلى سن السادسة عشرة.

قالت جين وهي تقطع شريحة رقيقة من لحم البقر: «لم تفسر لي لِمَ ترغب في رؤيتي يا هيكتور؟»

أجاب هيكتور: «اخبرني الدكتور بأن أيامي اصبحت معدودة. لا داعي لأن تتضايقي فكلنا سنموت يوماً ما. وها أنا الآن أصبحت كبير السن وسأبلغ السابعة والسبعين من عمري هذه السنة.»

في الواقع اخبرها هيكتور عن مشكلته في أنه في عمره المتقدم هذا لم يكن هناك علاج يطيل العمر اكثر من بضعة اشهر.

«على الأقل من المحتمل ان تكون نهاية سريعة وأنا أفضل أن تكون نهاية قريبة وقصيرة وسريعة، وهذه هي أفضل طريقة للموت، مما يجعلني أفسر لك سبب دعوتي وارسالي في طلبك. كيف ستهتمين بالعمل كما هي الحال الآن؟»

«لكن يا هيكتور أنا لا اعلم شيئاً عن السلع القديمة؟»

«ولم اكن اعلم شيئاً عنها أنا أيضاً عندما بدأت بالتجارة. أنت شابة ونكية، اكتسبي رزقاً من هذه التجارة وتعاوني مع أي شخص. ستقع المسؤولية على عاتقك اذ ان هذا البيت غير مرهون، لقد اشتريته بستماية جنيه منذ

ثلاثين عاماً. على كل حال سيصبح لك عندما اموت فليس لي قريب أورثه إياه.»

بعد تناولهما الغداء، مشيا على طول الجهة البحرية وكان الرجل العجوز ممسكاً بذراع جين. بدا وكأنه الرجل الوحيد الذي يتردد إلى غرف القراءة في المكتبة العامة. وأخذت جين تفكر كم من الوقت مضى على استحمامه، وكم من الوقت مضى لم يغسل ثيابه، لكنها أحبته وشعرت بالحزن لحاله السيئة.

اقترحت جين: «لِمَ لا تبيع هذا البيت وتمضي ما بقي لك من عمر في دار مريح للمسنين؟ أو تقوم برحلة إذا كنت ترغب بالقيام بالنزهات؟»

«لا، لا. أفضل ان ابقى هنا حتى آخر يوم من عمري. لقد تمتعت ما فيه الكفاية في هذا العالم.»

والآن قال هيكتور انه يرغب في أن يأخذ قسطاً من النوم خلف سيارة وستورد. جلست جين على مقعد ليس بعيداً عن مكان وقوف السيارة وأخذت تفكر في عرض هيكتور.

لم يجمع هيكتور ثروة هائلة من تجارته لكنه كان يعتاش من راتب التقاعد.

أفضل شيء تقوم به إذا اصر هيكتور على ترك المنزل والمتجر لها هو ان تبيعهما. إذا كان هيكتور لم يتكسب رزقاً منها فماذا ستتيح لها هذه الفرصة؟

حاولت جين أن تبعد شبح التفكير بآدم وذلك لأنها كلما فكرت به كلما شعرت باضطراب في داخلها. لأنه من الواضح انه تعرف عليها وقصد الفندق ليطلب تبريراً لتصرفها في لندن.

هل يعقل أن يكون ووالده قد سلبا هيكتور مبلغاً كبيراً من المال بطريقة الاحتيال؟ ان هذه الوسيلة هي وسيلة دنيئة بالنسبة إلى تاجر غني وابنه ليتصرفا مثل هذا التصرف ضد رجل اقل شأناً منهما في تجارة السلع القديمة الطراز.

وعندما عادا إلى لونغ غوزبك انزلت جين هيكتور من السيارة وقادتها باتجاه الساحة الخلفية للفندق.

سألت جين السيدة وستورد بعدما شكرتها لقرضها السيارة: «هل جاء السيد فونتني في وقت الغداء يا سيدة وستورد؟»

«لا، لم يأت. ربما يأتي هذا المساء.»

كان يوجد دائماً سندويتشات جاهزة وطازجة على الطاولة، فأخذت جين بعضاً من هذه السندويتشات إلى المتجر، لأنها ستتناول العشاء مع هيكتور في نزهة، وبقيت تتكلم معه حتى وقت متأخر من الليل. كانت عائلة وستورد قد اعطت جين مفتاحاً لتدخل الفندق من الباب الخلفي. ولم يكن هناك أي شخص عندما عبرت جين العشب الأخضر. وكان وهج شاشات التلفزة ظاهراً من خلال ستائر غير مسدلة في بعض النوافذ. أما صفوف السيارات المتوقفة في المرج الأخضر فقد افسدت منظره، ولكنها دليل على أن النزلاء كانوا جميعهم من الأثرياء وأفضل حالاً من وضع هيكتور بالرغم من أنه كان هو والطبيب والمدرّس وواحد أو اثنين من مالكي الأرض قادرين على امتلاك السيارات.

وفيما اقتربت من الفندق وهي تفكر في ما إذا كان بإمكانها ان تقترض السيارة مجدداً غداً، إذ بباب إحدى السيارات المتوقفة يفتح فجأة امامها.

توقفت جين وهي تتنفس ببطء ولمدة ثانية أو ثانيتين شعرت بخوف كل امرأة تعيش في المدينة وحيدة بعدما كانت تعيش في القرية. وبعدما تعرفت إلى طول قامة آدم فونتني تبدد ذلك الخوف وحل محله خوف من نوع آخر.

اخبرها آدم: «انني انتظرك يا آنسة تونتون. وبما أنني لست شخصاً مرغوباً به بالنسبة لقريبك السريع الغضب، فكرت انه من الأفضل ان انتظر حتى اكلمك على انفراد فأنت تدينين لي بتفسير.»

الفصل الثالث

احتجت جين قائلة: «الوقت متأخر وأنا متعبة.»

«وأنا كذلك متعب حتى أفهم جيداً لما لم تخبريني بصراحة انك لا تودين رؤيتي مجدداً. لقد عاملني بعض الاشخاص باسلوب فظ من قبل ولكن لم يكن اسلوباً مراوغاً كأسلوبك. أريد أن أعرف لِمَ تركتني أقع في المشاكل واتكلف نفقات الاتصال بك في فلورنسا ولم يكن الرقم رقمك. هل كنت تمزحين معي؟»

ماذا عساها تقول؟ كيف تستطيع أن تفسر له؟

وبينما كانت واقفة صامتة مربكة، أخذ آدم يصرخ بها: «اجيبيني!»

انتصبت جين وأخذ ذقنها يرتجف وبدأت عيناها تلمعان.

ربما كان من الأفضل أن يكون لديها تحذير مسبق من أن خلف المظهر اللطيف هناك شخص فظ، سيىء الطبع.»

بينما كان يقف تحت نور القمر المنخفض في السماء، كان من الصعب أن ترى تعبير عينيه.

ومنذ زمن بعيد، علمها نيكولاس كيف تدافع عن نفسها إذا واجهها أحد لكنها نسيت معظم الحيل التي علمها إياها ووجهت يدها لتندفع بقوة إلى الجهة الأخرى.

«اعتذر منك، لا يجدر بي أن افعل هذا بك، لقد فقدت صبري.» توقف آدم قليلاً عن الكلام ثم تابع وقال: «لن ازعجك مرة ثانية. تصبحين على خير.»

www.elromancia.com

وقبل أن تصحو جين من صدمة رؤيتها له، ركب آدم سيارته واغلق الباب بقوة. وبقيت جين متجمدة في مكانها عندما تركها آدم وقاد السيارة بعيداً عنها.

عندما اخبرت جين السيدة تشتستر بسبب دعوة هيكتور لها، قالت السيدة العجوز: «يا له من رجل مسكين. اليس لديه زوجة أو أطفال أو حتى رفيق؟»

«لا اعتقد أن لديه اقرباء مقربون منه، ولكنه لم يبد لي أنه وحيد.»

«لِمَ لا تتركين عملك وتذهبين إليه وتجعلينه يرتاح إلى نهاية اشهره المعدودة. ستكون هذه فرصة لك لترتبي المتجر وتجربين حظك كتاجر. وأنت تحتاجين لحافز أفضل يا جين، فأنت تنجرفين في عمل ممل والحياة عزيزة جداً يجب ألاَ يخسرها أحد. ولِمَ لا تغتنمي هذه الفرصة التي عرضت عليك؟»

«سأفكر في الأمر.»

«ربما اعجبت بذاك الشاب الوسيم الذي اصطحبك إلى انابلز. وهو يعيش في سفولك، أليس كذلك؟»

ادارت جين وجهها حتى تتمكن من ازالة احمر الشفاه وقالت: «لا اعتقد أنه يسكن هناك.»

أعاد ذكر آدم مشاعر جين الممزقة التي شعرت بها حين رأته لم يكن نيكولاس طويل القامة وقوي البنية كآدم، بل على العكس كان نحيلاً، وهو شاب يخفي عدم ثقته بالأمور، ويقوم بتصرف متهور مغرور. وكان غريب الأطوار ولكنه في نفس الوقت طيب القلب.

قالت اوليفيا تشتستر: «حسناً. مهما تقررين فعلى

الأقل يصبح لديك مكان تقصدينه إذا ما حدث لي مكروه.»

بعد أسبوعين ماتت السيدة تشتستر وهي نائمة.

كانت السيدة محقة بشأن ابن اختها. وعندما انتهت مراسم الجنازة وقرأت الوصية اعطى انذاراً للمستأجرين باخلاء المنازل.

انتقلت جين إلى سفولك في منتصف شهر جزيران (يونيو) واقامت في فندق تراول اند هامر. وفي اثناء ذلك وضبت غرفة نوم هيكتور بكلز الخلفية وجعلتها ملائمة للنوم.

كل البيت كان بحاجة إلى تغيير وتنظيف شامل وبقيت تعمل بحماس لم تشعر به منذ وقت طويل.

اورثت السيدة العجوز جين بالاضافة إلى نسخة صغيرة للوحة جون سمارت وخزانة تحتوي على ملابس كلاسيكية، قطع مختلفة من الأثاث أكثر مما اورثت ذاك الوغد الذي يدعى موريس وزوجته النكرة.

في الأسبوع الأول لمغادرتها لندن، لم يكن في استطاعة جين أن تعتاد على الحياة الجديدة ولم تتقبل فكرة انها غادرت لندن إلى الابد.

لندن هي مسقط رأسها. مدينة الفرص الرائعة وسجن سنواتها العشرين، هذه المدينة التي هي ممتنة للهروب منها. وحتى لو لم تنجح في التجارة بالسلع القديمة فلن تعود إليها، فهناك الكثير من اعمال السكرتاريا في هذه المقاطعة. وبالرغم من انهم لا يدفعون أجراً كما يدفعون في العاصمة، وبما أن المعيشة ارخص هنا، فبهذا الفرق يكون الاختلاف بسيطاً بين المدينة والقرية.

www.efromancia.com

لم يمض وقت طويل على وصول جين من لندن، حتى اقيم مزاد علني في منزل كبير في القرية.

قال هيكتور: «سيتوافد تجار من كل انحاء انكلترا إلى هذا المزاد وسيتنافسون على أفضل الممتلكات الخاصة، وحتى القطع البالية ستباع بعشرة أضعاف. يا لها من ثروة. سيكون الأمر بمثابة اختبار هام لك سواء اكتسبت خبرة أو لم تكتسبي. سنذهب كلانا إلى المعرض ولكن منفردين. لاحظي جيداً كل ما يحدث امامك وكيف ستكون أولى محاولاتك. وعندها سأخبرك أنا بدوري ما اشتريت.»

ذهبت جين إلى المزاد العلني معتلية دراجة اقترضتها من آل وستورد. كان يعمل ابنهم في كاراج، وأخذ يفتش عن سيارة لها لأن هيكتور كان قد باع سيارته الصغيرة القديمة بعدما حذره الطبيب من القيادة.

قادت جين الدراجة في ممرات القرية الضيقة في صباح جميل من أيام الصيف وهي تشعر بالسعادة، لأن هيكتور مازال على قيد الحياة، وانها بدأت تعيش فترة جديدة من حياتها. ما أن تتدهور صحة هيكتور حتى تتحسن ويصبح في حال أفضل بمجرد حضور جين التي رغبت في أن تأتي آبل وتقيم معها عدة اسابيع أثناء عطلة المدرسة.

كان المزاد العلني سيقام في يومين متتابعين من الأسبوع القادم. وكان المنزل الذي سيقام فيه هذا المزاد عبارة عن مبنى صغير لايواء العربات، وهو لاميرال مسن وقد مات من دون ورثة. فوضع منفذو الوصية هذا المبنى بايدي شركة محلية تدعى اسبورن وديل.

تعجبت جين قليلاً لأن تلك المنافسات لم تلق مزايدة من

قبل آل كراوثورن. ومما تعلمته جين من هيكتور أن تجار السلع القديمة كانوا دائماً يضعون نصب اعينهم شراء بضائع غير موجودة في الاسواق، وكانت هذه البضائع تجلب سعراً أفضل عندما تكون جديدة ومحفوظة بأيدٍ أمينة.

وضعت (الكاتولوجات) على الباب للبيع فاشترت جين واحداً وبدأت تعمل من خلاله. لم يكن كثير من الناس قد حضروا بعد. وكان في كل غرفة حمّال خاص بالبائع يرتدي سروالاً أزرق وكان يبقي عينيه على اغراض البائع. وفي بعض الأحيان يفتح الصناديق الزجاجية التي تحتوي على بنود تتعلق بالمزاد ليتفقدها ويتأكد من وجودها.

اعجبت جين بوعائين على شكل قرون، أحدهما أزرق اللون والآخر ذهبي. وفي ذلك الوقت وهي تفكر بجمال وروعة هذين الوعائين لو كانا مليئين بالأزهار البيضاء، إذ بصوت جعل قلبها يخفق وقال: «صباح الخير. أنت تسكنين هنا الآن. سمعت ذلك.»

لم يكن آدم بمفرده كان بالقرب منه رجل مسن. يبدو أنه كان والده. رجل طويل القامة كابنه ولكنه أكثر تواضعاً منه وفي الوقت نفسه لديه نفس السلطة.

قالت جين: «صباح الخير.»

قال آدم: «هلا عرفتك على والدي. الكولونيل فونتني. والدي، هذه هي الآنسة تونتون... جين. لقد التقينا في المعرض الخاص: (مئتي عام للسيدات الجميلات).»

قال الكولونيل وهو يصافحها: «اوه، نعم. تذكرت.» ولكن لم يكن واضحاً إذا كان الكولونيل قد تذكر المعرض أو تذكر شيئاً آخراً كان ولده قد أخبره عنه.

أوضح آدم: «ان جين تساعد هيكتور بكلز وتهتم بأمور متجره. اعتقد أن صلة القرابة بعيدة. هل كلامي صحيح؟»

«نعم، صلة قرابتنا بعيدة. هل تصل المعلومات بسرعة في هذا الجزء من العالم؟»

قال الكولونيل مبتسماً لها: «الشائعات، وخاصة الشائعات المضادة تغمغم كما يتغمغم النحل حول زهرة. هل حضورك إلى هنا كمحترفة أو كشارية خاصة يا آنسة تونتون؟»

«أنا لست تاجرة. لكن ابن عمي اخبرني ان الاسعار ستكون باهظة.»

«بلا شك. هناك بعض القطع الثمينة كانت موجودة لدى العائلة منذ قرون عدة، لكن آل كراوثورن خسروا كثيراً من عمولتهم.» ووجه الكولونيل نظرة ساخرة إلى ابنه وقال: «ولسوء الحظ تعدى آدم على الوضع منذ حوالي عشرين عاماً وعانى آل كراوثورن الكثير نتيجة ذلك.»

قال آدم بلهجة مرحة: «ان أبي لا ينسى. صحيح أنني وفي الرابعة عشرة من عمري ضبطني أحدهم وأنا اتصيد الأرانب في أرض الأميرال وهدد بكل الأساليب باقامة دعوة ضدي، لكن سبب استغلال شركة اسبورن وديل للبيع هو انهما كانا يحملان عبئاً لبيع هذا البيت، وكان منفذو هذه الوصية محليين، يقومون بحماية الشركات المحلية. اتحبين المزاد العلني يا جين؟»

فكرت جين أنه من الأفضل لها أن تعترف انها لأول مرة تشارك في مزاد علني، وحتى لو اهتمت بتجارة هيكتور فذلك لن يخفي الشائعات التي تقول بأنها عديمة الخبرة وأنها لا تعلم شيئاً عن التجارة.

ونظراً لوضعهما الاجتماعي فمن السهل النسيان أن هذين الرجلين قد تورطا في سرقة قطة فابرج.

«نعم، سأفعل مع انني لا اعتقد أنني سأشتري الكثير. هلا عذرتني؟ أفضل الذهاب.» ادارت جين وجهها مبتسمة للكولونيل ابتسامة لطيفة.

بقيت جين تخمن قيمة كل قطعة من الأغراض، ومن شدة رعبها وعندما همت بالرحيل إلى المنزل، وجدت اطار العجلة الخلفية على الأرض واملت أن يكون الثقب بسيطاً ولكنها لم تستطع أن تمسك باحكام مضخة الدراجة.

وقبل أن تصل إلى المنزل، تمدد الاطار على الأرض مجدداً. ولحسن الحظ كانت حقيبة السرج تحتوي على ادوات للتصليح، فوضعت الدراجة على الأرض رأساً على عقب وأخذت تنفخ الاطار.

بدأت جين تنفخ الاطار عندما توقفت سيارة خلفها وترجل منها رجل يرتدي ثياباً رياضية.

«هل لديك مشكلة؟ ربما استطيع مساعدتك. فهذا العمل يكسر اظافرك.»

«هذا لطف منك. لكن اظافري ليست طويلة ولا اريد أن اؤخرك عن تناول الغداء.»

«كنت في طريقي إلى الفندق لتناول سندويتش فقط. أنا الدلال ديك اسبورن. وأنت اعتقد أنك ابنة أخت هيكتور بكلز.»

«علاقة ابعد من علاقة ابنة اخت، أنا جين تونتون.» وبينما كانا يتصافحان أضافت جين: «بالتأكيد الاخبار تصل بسرعة إلى سفولك.»

«ان التجار ثرثارون. هل تعملين في التجارة؟»

أخذ ديك المضخة من يدها وبدأ يفك الاطار من الدولاب بحركة سريعة نابعة عن خبرة.

قالت جين بحذر: «ربما سأتولى القيام باعمال هيكتور. وهذا يتوقف على...»

«يتوقف على ماذا؟»

«هذا يتوقف على قدرتي في عقد صفقة ناجحة. اتيت إلى سفولك من لندن والذي يبدو وكأنه انتقال من مدينة إلى أخرى. أفضل هذه القرية، ولكني سأجد صعوبة في أن اقتصد في الانفاق حتى لا اتخطى حدود دخلي وهذا طبعاً لأنني غريبة عن هذا البلد.»

«كانت المعيشة اسهل عندما كنت فتى فالأشياء التي كنت اشتريها من مدخول جيبي الخاص تكلف الكثير من مدخول جيد في هذه الأيام. فالسلع اصبحت قليلة الآن وتقل أكثر فأكثر. لكن الحياة لم تكن سهلة لا بالنسبة للتجارة ولا للدلال. فإذا كان هناك الكثير من البضائع لم يكن هناك مالاً كافياً ولا حتى اهتمام، والآن اختلفت الحياة وأخذت منحى آخر ولا بد أن تصادفك بعض مصاعب الحياة.»

وبينما كانا يتبادلان الحديث في شؤون الحياة أخذت جين تدقق بملامح وجهه. بدا في الثلاثين من عمره كعمر آدم وشعره خفيف واشعث بني اللون لكنه أكثر شيباً، وله عينان زرقاوان ويوجد بعض النمش على انفه الحاد.

«حسناً... لست سعيدة بهذا التصليح. إنها تحتاج إلى إطار داخلي جديد. اسمع لنربط الدراجة خلف سيارتك وسأتبعك إلى غوزبك.»

وافق نيكولاس على رأي جين وحمل الدراجة إلى مؤخرة السيارة التي كانت مزودة باسلاك وذلك لعدم تسلق الكلاب.

سأل ديك وهما في طريقهما إلى الفندق: «هل تنزلين في الفندق؟»

«نعم. ولِمَ تسأل؟»

«لأن سمعة هيكتور تفيد بأنه شخص مولع بالمشاكل. لن تعيشي معه في المنزل، أليس كذلك؟»

«ليس بعد. ولكن علي أن أعيش معه عندما أصبح وأياه أكثر انسجاماً. أين تسكن يا سيد اسبورن؟»

«سمني ديك فالجميع هنا يدعونني ديك. كنت اعيش في بوند فورد إلى أن توفيت زوجتي منذ ثلاث سنوات. وكان من الصعب أن اجد زوجة تناسبني وتهتم ببيتي وبابني. والآن اعيش مع أهلي، فلديهما الكثير من الغرف ويحبون تومي كثيراً والأمور تسير على ما يرام.»

«كم عمر تومي؟»

«عشر سنوات ويذهب إلى مدرسة محلية ويبقى معي في أيام العطلة وهو يكره ان يدخل مدرستي القديمة. عندما يصبح في الثالثة عشرة من عمره سأفتقده كثيراً. صحيح أنه ولد مؤذ في بعض الأوقات لكنه فتى رائع... تعرفنا أنا وزوجتي على بعضنا البعض منذ فترة بعيدة، كنا سعيدين جداً معاً. وعندما يكون هناك ازواج غير متفقين مع بعضهم البعض من الصعب أن يتوقعوا اننا فعلنا ما بوسعنا من أجل سعادتنا وليس لأنها بدأت بالمرض.»

«أعلم بما تشعر. فالفتى الذي كنت سأتزوجه لقي

مصرعه على دراجة نارية وكان عمره تسعة عشر عاماً، ولم تكن غلطته. انحرف قليلاً ليتجنب امرأة كانت تجر عربة يد وتعبر الشارع من دون أن تلتفت حولها فاصطدم بشاحنة.»

حدق ديك بها وقال: «يا له من حظ سيىء. هذا كثير. اعتقد أنني عرفت لماذا فهمتني، فعادة لا أحدث أحداً عن سالي ولا حتى إلى الأشخاص الذين كانوا مقربون منها، فمعظمهم يتحيرون ولا يفهمون أن جزءاً من الألم هو التحدث عن شخص قد مات. هل فهمت؟»

«نعم، لقد فهمت منذ البداية. لقد تجاوزت المحنة الآن. كان ذلك منذ وقت طويل، منذ تسع سنوات لم نكن معاً كما كنت أنت وزوجتك وهذا يترك فراغاً أكبر.»

«هذا فراغ كبير... فراغ اسود تمنيت لو ابتلعني، لو كنت استطيع الرحيل، لكنني لا استطيع بوجود تومي. كان علي أن احتضنه. ها أنا قد تجاوزت المحنة الآن وفزت بولد يشبه أمه. كم هو مضحك أن يشبه الصبيان امهاتهم والبنات يشبهن ابائهن.»

رجع ديك من طريق آخر غير الطريق الذي سلكته وهما في طريقهما إلى القرية. كان في هذه القرية مطعم يدعى لامب، علق عليها يافطة كتب عليها سندويتشات وسناك ساخن.

«ماذا لو تناولنا الطعام هنا؟ إذا لست على عجلة من أمرك.»

«حسناً. ما دامت المعاملة معاملة هولندية.»

«بالطبع لا. ان السيد هيكتور اخبرك اننا نقيم هنا مزاداً علنياً من اسبوع إلى آخر، ولا ترتفع الاسعار فيه كما ترتفع في ممتلكات الأمير ال.»

كان هيكتور قد زُوِّدَ بتاجر كمعين له ليساعده بدرس مشكلة المزاد العلني، وكان هذا التاجر صديقاً حميماً له. وعندما قارن هيكتور عطاء جين بالمزايدة أو المناقصة بعطاء صديقه، وجد أن جين لديها نظرة حادة بالنسبة للكمية، لكنها لم تكن لديها أية فكرة عن الأسعار.

لم يكن لدى هيكتور أية نية في المزايدة أو المناقصة، لذلك لم يذهب إلى المزاد العلني وأرسل جين مكانه.

أخذت جين ترتب ملابسها وهي على الدراجة. كانت متأكدة أن الكولونيل فونتني سيكون واحداً من كبار التجار الحاليين وتساءلت إذا كان آدم سيحضر المزاد أيضاً.

هذه المرة وعندما وصلت جين، كانت صفوف السيارات طويلة وقد نصبت مظلة من الزجاج والمعدن فوق مدخل المرج. كانت جين تجول في المدخل باحثة عن مكان تجلس عندما جاء ديك.

«مرحبا يا جين. احتفظت لك بمقعد حيث يمكنك أن تشاهدي مناظر جميلة. الطريق من هنا.»

سارا حول الممشى الذي يقع قرب الأعمدة. وقد علقت عليها لوحات زيتية إلى الجهة الأخرى من الخيمة الضخمة. كانت تنتبه إلى تلك العيون التي كانت تنظر بحشرية إلى ذاك الغريب الذي كان يلقى اهتماماً مميزاً من الدلالين.

تمتم ديك بأذنها: «هل من مانع لو تناولنا العشاء معي ليلة الجمعة؟ الليلة وغداً سأعطي حنجرتي قسطاً من الراحة، لكن ليلة الجمعة سأرتاح واعيش من دخلي. امل ان تجلب هذه القطعة ربحاً جيداً.»

«آمل ذلك. شكراً لك.»

«إنه موعد. سأصطحبك الساعة السابعة.»

هدأت اعصاب جين بهذه الفرصة السانحة. وأخذت تنظر نظرة سريعة على صفوف الرؤوس ذات الشعر الأبيض وبقربها رؤوس ذات شعر اسود. وتوقعت جين أن ترى هذه الصفوف ذات الشعر الأبيض في الصفوف الخلفية، لكن في الصفوف الخلفية كان يجلس عدة اشخاص آخرين. وأخذت تتساءل إذا لاحظ آدم أن ديك قد رافقها إلى مقعد خاص.

بدأ المزاد العلني بكلمة لوالد ديك الذي شدد في كلمته الافتتاحية على ان القضية لم تعد قضية إدارة للمبيعات. ولقيت هذه الكلمة تصفيقاً واطراءً. ومن ثم وقف ديك مكان والده وقدم شرحاً موجزاً عن كيفية إدارة المبيعات. بعد ذلك وبنتيجة القرعة الأولى، رفع حمّالان واحدة من مجموعة الكراسي الفرنسية ليتسنى للجميع رؤيتها.

كانت المحاولات الصباحية مثيرة ورست مطرقة الدلال على سعر كان اعلى حتى من تخمين هيكتور.

وفي الساعة الواحدة إلا ربعاً اعلن ديك وقت الغداء.

«سنستأنف في الساعة الثانية والربع. شكراً لكم سيداتي سادتي.»

اشترت جين رزمة صغيرة من السندويتشات وقارورة قهوة وكتاباً عن الاثاث القديم كمرجع تضعه في مكتبة هيكتور، بينما كان بعض الأشخاص يقودون سياراتهم قاصدين المطاعم أو الكشك المتحرك، وقد سمح لهم أن يوقفوا السيارات خلف المنزل. وبدأت جين تبحث عن مكان منعزل في المرج حتى تستطيع أن تدرس بدقة شراء القطع المفيدة وتجنب القطع الأخرى.

كان من ضمن القرعة، جميع مقاعد الحديقة والتماثيل وبعض النوافير القديمة الطراز، وحتى الحلى المعمارية التي كانت فوق الأبواب الصينية القديمة معروضة للبيع. جلست جين على الاعشاب واسندت ظهرها على جذع شجرة.

وبعدما فكرت جين من سيكون مالك المنزل، تساءلت إذا كان المنزل معروضاً للبيع عندما تصل آبل، وربما يتبعون نصيحة آدم ويحسنون قليلاً في هذه الأرض.

فالأراضي المهملة ـ وكان الأميرال ولاكثر من تسعين عاماً يمشي من دون عصا ـ كانت ملائمة لطفلة خيالية حتى تلعب العاباً وهمية.

«هل من مانع لو جلست معك؟»

اغلقت جين عينيها من شدة وهج الشمس وكانت بداية عنيفة. بدا آدم اطول من الأيام العادية نظراً لجلوسها على الأرض، وهو يحمل عباءة فضفاضة أسدلها على كتفه وقد خلع ربطة عنقه. وكانت ياقة قميصه الأزرق غير مزررة.

قالت مشيرة إلى بعض الأمكنة: «هذه حديقة واسعة وهناك الكثير من البقع الجميلة.»

انحنى آدم على ركبتيه ببنطاله الرمادي. وقال:

«اعتذر مجدداً عن تلك الليلة. لكني اعتقد أنك ستوافقينني الرأي بأن ذلك كان استفزازاً، ولا أحد يحب أن يلعب به. وإذا لم تكن تلك نيتك لِمَ لم تشرحي لي ذلك؟ وماذا كانت نيتك بالضبط؟»

تنهدت قليلاً وقالت: «حسناً، سأحاول شرح ذلك. كانت تلك الليلة نوعاً من الليالي التنكرية بالنسبة لي. وقد ذهبت

فقط بعد اصرار صديقة لي كان عليها ان تحضر الحفلة بنفسها. لم تكن في صحة جيدة لتحضرها وارادت أن اخبرها عن كل ما يدور فيها، اقرضتني أيضاً ثوباً وكل شيء كنت ارتديه في ذلك اليوم.» وفتحت قارورة القهوة وجهزت كوبين من البلاستيك. «اتريد فنجاناً من القهوة؟»

«شكراً لك.» وانخفض قليلاً ليجلس في مكان على العشب بالقرب منها مبعداً سترته الفضفاضة عنها.

ملأت جين فنجاناً من القهوة واعطته اياه وقالت: «عندما سألتني عن نفسي فكرت أن حقيقتي كانت مؤلمة وسيكون الأمر مشوقاً أكثر لو اخترعت شخصية تلائم ذاك الثوب الفرنسي الذي كنت ارتديه، وحينها اكتشفت حقيقة المثل الذي يقول: «ما هذه المؤامرة المحيرة التي نحيكها عندما نحاول أن نخدع» لكن لم يكن في نيتي أن اجعل من هذه الكذبة حيلة محيرة، ولم يكن لدي أي دافع شخصي، كانت فقط هفوة سخيفة.»

«فهمت.» ورشف آدم رشفة من فنجان القهوة وقال: «يبدو المعنى كذلك. ولكنك في نهاية الأمسية لم تكوني مهتمة لأن تقابليني مرة ثانية.»

«أنا... لم اعتقد أنك لو عرفت حقيقة امري أنك تريد مقابلتي مرة ثانية.»

قطب حاجبيه وقال: «ولِمَ لا؟ هل أنت ممن ينتهزن الفرص؟ هل أنت فظة؟ هذه هي الصفات التي قد تجعلني انفر واحاول التخلص منك.»

«لست سيئة... ولم اكن سعيدة إلى حين وصولي إلى هنا. كنت اعمل سكرتيرة لمدير في شركة تجارية

متخصصة بالشحن البحري والمنتوجات المعدنية ومصنوعات اجسام الباصات والشاحنات.»

«وفوق كل هذا تعطيني رقماً هاتفياً خاطئاً هيا، هيا. أنا لا أصدق هذا الكلام.»

«حسناً لا تصدق لكنها الحقيقة.»

نظر آدم إليها نظرة عميقة وقال: «عليك أن تعرفي قيمة نفسك، انظري إلى نفسك في المرآة. فمن دون تلك الملابس والمجوهرات المزيفة التي كنت تلبسينها، أنت فتاة جذابة جداً ولم أرغب في مقابلتك مرة ثانية لولا انك لم تعجبيني.»

لم تعرف جين كيف ترد عليه فقالت: «اتريد سندويتشاً؟»

«شكراً لك.» وأخذ سندويتشاً من الكيس التي قدمته إليه.

«آه... انه لذيذ. ما هذا؟»

«قطعة لحم من البقر مع الخردل.»

أكل آدم وهو صامت ثم قال اخيراً: «هناك طريقة واحدة تثبتين فيها أن ذلك التصرف لم يكن رفضاً منك.»

«كيف؟»

«تتناولين العشاء معي مرة ثانية.»

«ليس الأمر سهلاً كالسابق. الآن يوجد هيكتور ويجب أن نحترم شعوره، وكما تعلم هو لا يحبك.»

«بصراحة أنا لا اكترث له. وإذا كنت ستدعينه يملي عليك من ترين ومن لا ترين فستعيشين حياة اجتماعية مقرفة. اخشى أن يجعل الرجل من الصراخ واللوم عادة من عاداته، فلديه الكثير من الاعداء الذين تسعدين بمعرفتهم. سأعود إلى لندن الليلة وسأعود إلى بيتي مجدداً نهار الجمعة. ماذا عن مساء الجمعة؟»

«أنا مشغولة نهار الجمعة.»

«لقد فهمت.» لم يسأل آدم ماذا ستفعل نهاري السبت والأحد. اعاد الفنجان الفارغ ووقف ثم قال: «أمل في مرة أخرى.»

وبهذه الجملة التقط آدم معطفه ومشى إلى الخارج.

راقبته جين وهو يغادر معجبة بقامته المستقيمة وطريقة مشيته المتماسكة وتمنت لو لم تقبل دعوة ديك. وحتى لو لم تقبل فسيكون الأمر فظيعاً أن ترافق شخصاً يكرهه هيكتور بشدة وتمنت لو لم يزداد الكره بينه وبين هيكتور.

وبالرغم من أنه لم يكن غاضباً كما لو كانت ستتناول العشاء مع آدم، لكن هيكتور لم يسعد لنبأ موعد جين مع ديك.

«لست بحاجة لصداقة مع عائلة اسبورن فأنا لا أثق بالدلالين، فهم يتقربون بحيل من أجل مآربهم الشخصية.»

«ما نوع هذه الحيل؟»

«يقضون على المزايدات.»

«وماذا يعني هذا؟»

«إذا كانت المزايدات تسير بصورة بطيئة يأتي دلال عديم الضمير ويأخذها من مزايد وهمي ويفعل ذلك بذكاء، ومن الصعب التدقيق في الأمر.»

«هل ديك ووالده مشتبه بهما؟»

«لم أقل ذلك، كنت اتكلم بصورة عامة. وهناك أمر واحد أريد أن انصحك به، هو أن لا تتركي المزايدات مع الحاجب. إذا لم تتفقي على البيع اتركي المزايدة أو المناقصة مع واحد من الحمالين فيعلم بذلك الدلال، وإذا وصلت إلى خمسين جنيهاً وتركت مزايدة بمئة جنيه فهذا ما ستدفعينه.

فهو لن يسمح أن تجرى القرعة على ٥٢ أو ٥٥ جنيه وهذا بالعقل، أليس كذلك؟ وبسعر المئة سينال عمولة أكبر.»

«اعتقد ذلك.»

وفيما كانت جين تتناول العشاء مع ديك نهار الجمعة في حانة في القرية سألته إذا كان صحيحاً أن بعض الدلالين يقضون على المزايدات.

قال بطريقة جافة: «محتمل حصول مثل هذه المزايدات في السابق عندما ـ وإذا لم يكن هناك احتياطي ـ كانت البضائع الجيدة تضرب ضربة قاضية بأسعار مذهلة، لا اعتقد انها تحدث في هذه الأيام، لم يفعل والدي ذلك ولا أنا، فالتجار دائماً ليسوا فوق اللوم والتوبيخ كما تعلمين.»

«هل عائلة فونتني فوق اللوم.»

«نعم عليّ أن أقول هذا لأن الكولونيل فونتني لا يقوم بشيء مشبوه.»

«وماذا عن ابنه؟»

«آدم عظيم. وهو حسن الاطلاع باللوحات الزيتية.»

تجرأت جين وقالت: «لكنك لا تحبه؟»

«لم أقل ذلك. أين قابلته؟»

«لقد قابلته في معرض من معارض كراوثورن في لندن.»

«هل اغراك؟»

«لا، اهذه هي سمعته؟»

«هذه هي سمعته في السابق. في الحقيقة، لقد ساعد أختي في الحصول على وظيفة لدى عائلة كراوثورن. كانت متشوقة للمجيء إلى لندن. وقعت في غرامه لكنه ملّ منها واهملها. وهي الآن بصحة جيدة. ومتزوجة ولديها ولدان،

لكنه جعلها تمر بوقت عصيب. لو كنت مكانك لاحترست منه أكثر. كان يقيم علاقات كثيرة وكانت هذه العلاقات تنتهي بالدموع وهذا طبعاً بالنسبة للفتيات.»

الفصل الرابع

في هذه اللحظات، قاطع حديثهما وصول اللحمة والسمكة. وفي الوقت الذي كان يتناولان طبقاً مشتركاً من السلطة، لم ينس ديك قصة آدم وفضل أن يغير الموضوع بسؤال عن حياتها قبل مجيئها إلى سفولك.

كانت امسية رائعة وانتهت في الساعة الحادية عشرة عندما ودعا بعضهما البعض خارج فندق تراول اند هامر.

اقترح ديك عندما شكرته جين على الأمسية: «لنعيد الكرة مرة ثانية. هذا إذا كنت ترغبين في ذلك؟»

شعرت جين بحيائه وقالت: «نعم، كثيراً.» متسائلة إن كانت هذه غلطة.

لم تكن متأكدة لِمَ انتابها هذا الشعور. ربما كانت غلطة لأنها لم ترافق أحداً منذ عدة سنوات، ويبدو أن الأمر أخذ منحى آخر لتقبل موعدين في اسبوعين متتاليين.

وفي ما بعد وهي في سريرها تذكرت جين تحذير ديك لها، وأخذت تتساءل في ما إذا وافقت على مرافقة آدم إذا طلب منها ذلك.

وفي اثناء وجودها في لندن كانت جين غالباً ما تستيقظ في الليل وتفكر بقلق على مصيرها في المستقبل، في نهاية هذا النهار كانت متعبة للغاية ولم تستطع القراءة، ولكنها نامت إلى أن أيقظتها ساعة المنبه.

ربما نومها العميق هذا له علاقة بالهواء المنعش على

www.elromancia.com

الساحل الشرقي أو ربما لأنها تستهلك طاقة جسدية أكثر مما تتطلب وظيفة السكرتاريا.

وبعدما اختارت مكاناً للنوم، بدأت جين ترتب المكان، بعدما حذرها هيكتور من عدم رفع أي شيء ثقيل. لهذا سألت جين تلميذاً قوي البنية يسكن بالقرب من منزلهما إذا كان يرغب أن يتقاضى مصروف جيب اضافي بمساعدتها في نقل القطع الكبيرة من الاثاث التي عمل هيكتور على تكديسها وحتى لو كانت قطع بالية.

سألت جين هيكتور: «لِمَ اشتريت هذه القطع؟»

«في بعض الأحيان تضطرين لشراء اشياء لا تريدين شراءها. على أية حال لا يمكنك التأكد ما الذي يباع، لقد عرفت اشخاصاً يدفعون اسعاراً جيدة لأشياء أنا لا اقتنيها.»

أصبح ترتيب المنزل مقبولاً تدريجياً وقد حاولت جين أن تجعل منه بيتاً منظماً بعدما كانت الفوضى تسوده. أما الخزائن وداخل الأدراج بالذات كان الوصول إليها متعذراً في السابق، وعادت الأشياء مرتبة بعد أن نسي هيكتور أنه وضع فيها أشياء وأشياء.

وفي داخل صندوق اسود قديم، كانت هناك قطع نقدية من عرق اللؤلؤ منقوشة بريشة الخوذة وكانت هذه النقود تستعمل في بعض الألعاب المحفوفة بالمخاطر. وفي صندوق آخر وضع جانباً كان هناك بطاقات تذكارية مزخرفة كان الجنود يرسلونها إلى حبيباتهم خلال الحرب العالمية الأولى. وفي قلم حبر لم يتلاش خطه بعد كتبت رسائل مثل: «مع خالص حبي، حتى نلتقي مجدداً، اعز احبائي.»

اقنعت جين التلميذ روي الذي يبلغ من العمر الرابعة عشرة بمساعدتها، وطلبت منه ان يقطع بواسطة فأس تلك القطع البالية من الأثاث. كان هناك قطعتان أو ثلاث من الأثاث شكلهم لا بأس به ولكن طلاء هذه القطع اشرف لمعانه على نهايته. فاعطت جين روي هذه القطع من أجل أن يعيد طلائها في الساحة الخلفية وطبعاً هذا بعدما يستشير أهله ويوافقون على قيامه بهذا العمل.

كان هيكتور ما زال يتناول الوجبة الاساسية في فندق تراول اند هامر وكذلك الأمر بالنسبة لجين.

بالرغم من أن حجرة غسل الأطباق التي تقع خلف الفندق كانت تحتوي على مغسلة حجرية قديمة وفرن قديم إلا أنه لم يكن مكاناً تتخيل جين أن تطبخ فيه وجبات الطعام، كما انها ليس لديها الوقت الكافي لتطبخ في هذه الأيام.

وفي فترة بعد الظهر وبينما كانت جين تجرد جدران المتجر من الأشياء المعلقة تمهيداً لاعادة ترتيبها، إذ بامرأة تبلغ حوالى الستين من عمرها تقترب من خلال الباب المفتوح.

«آه! تقومين بحملة تنظيف! هل السيد بكلز موجود هنا؟»

نزلت جين عن درجات السلم وقالت: «انه يأخذ قسطاً من النوم في الغرفة الخلفية. من الذي يريده؟»

«أوه، لا تزعجي هذا الرجل المسكين. أنا روزامند فارنهام. كنت زبونته لعدة سنوات وجمعت عدداً من الأشياء ومن الصعب ان تحصلي على معظمها باسعار معقولة في هذه الأيام. أنت المرأة الشابة التي جاءت لتعيش معه.»

«جين تونتون. كيف حالك؟»

كان هيكتور قد تكلم عن السيدة فارنهام. فقد كانت تشجع اطفالها لينفقوا مصروف جيبهم في متجره، عندما كان قادراً بالاحتفاظ بصينية مليئة بالأشياء باسعار تمكنهم من شرائها. والآن فإن اطفالها كبروا وسافروا وقد جاءت اليوم إلى هنا ربما لأن هيكتور قد وضع جانباً شيئاً ما يهمها أمره.

«أنت تجمعين الكلاب القصيرة الشعر وصناديق مصنوعة من الذبل والمعاطف المصنوعة من نسيج الصوف المزركش ومساند الكراسي. هل هذا صحيح؟» قالت جين هذا بينما كانا يتصافحان.

هزت السيدة فارنهام برأسها وابتسمت: «كم أنت ذكية لتجمعي عني كل هذه المعلومات. وافكر في ما إذا كانت معلوماتك عني دقيقة؟ سمعت انك كنت سكرتيرة ممتازة في لندن. لكنك تخليت عن وظيفتك وجئت إلى هنا لمساعدة السيد بكلز.»

«انني أجهل أني ممتازة... أين سمعت هذا عني؟»

حدقت السيدة فارنهام بباب الغرفة الخلفية واخفضت صوتها قليلاً.

«من صديق لي... يدعى الكولونيل فونتني. اعتقد انك صديقة لابنه. ولسوء الحظ وكما اتوقع انك تعلمين أن صديقي السيد بكلز وعائلة فونتني يتبادلون الكره، هذا مؤسف ولكن هذه هي الحقيقة.» غيرت الموضوع وقالت: «ماذا ستفعلين بالجدران عندما تنتهين من تنظيفها؟»

وفي هذه الأثناء انضم إليهما هيكتور وتناول الثلاثة بعضاً من الشاي.

وقبل أن تغادر السيدة فارنهام قالت لجين: «عندما لا تكوني مشغولة لا بد أن تأتي وتري غرابي.»

ردت جين بطريقة مهذبة وفكرت بأنها لا تستطيع أن تقبل أية دعوة لمدة أسبوع، لكنها استلمت رسالة تدعوها لحضور عشاء غير رسمي لبعض الشباب والشابات وكانت الرسالة تتضمن طلب تأكيد من خلال اتصال هاتفي انها ستكون غير مشغولة في الليلة المذكورة.

عندما اتصلت جين لتقبل الدعوة قالت السيدة فارنهام: «جيد، هذا رائع، بما أنه يصعب الوصول إلى بيتي في المرة الأولى، فسأطلب من مارغريت بول أن تحضرك، إذ لا بد أن تمري بغوزبك. ومارغريت سكرتيرة قروية... فتاة قادرة واعتقد انك ستقيمين علاقة متينة معها.»

«لست اكيدة ماذا سأرتدي لحفلة عشاء في القرية يا سيدة فارنهام.»

«أوه، أي شيء... جينز أو تنورة، أي شيء يشعرك بالراحة.»

وصلت جين إلى الحفلة بعد أن ارتدت تنورة قطنية ملونة كانت لاختها في السابق، وارتدت معها بلوزة بيضاء مزخرفة صنعت في الهند وقد اشترتها من كشك في شارع من شوارع لندن، وربطت وشاحاً بنفسجياً أملس على خصرها وانتعلت حذاء جلدياً بسيطاً صنع في البرازيل، وقد خفض سعره في نهاية الصيف الماضي في أحد محلات شارع اوكسفورد.

توقفت السيارات امام منزل السيدة فارنهام عندما وصلت مع مارغريت، ولم يمض وقت طويل على معرفتها

بالمالكين. وهم فريق من المتزوجين الذين ترعرعوا مع اطفال مضيفاتهم.

كانت جين تتكلم مع زوجتين من المدعوات من دون أية كلفة وكانت هاتان الزوجتان تعملان في لندن أيام حياتهما المبكرة. أخذ عدد الضيوف يتزايد. وكان أحد هؤلاء الضيوف آدم فونتني.

بالرغم من أن السيدة فارنهام ذكرت أنها تعرف عائلة فونتني لم يخطر ببال جين ان آدم سيحضر الحفلة هذه الليلة، وعندما رأته مقبلاً، تحول الجو المريح إلى جو يسوده التوتر والاضطراب.

افترضت جين أنه كان برفقة واحدة من الصبايا اللواتي دخلن قبله، ولكن في ما بعد أصبح من الواضح أنهن اتين مع ازواجهن، وأن آدم أتى منفرداً. أخذت جين تفكر بعمق إذا كانت خطة السيدة فارنهام لهذه الحفلة من أن تجعل آدم شريكاً معها.

«مرحبا يا آدم. انك تشبه شخصاً أسمر يعمل في لندن.» قالت احدى الزوجات وهي واقفة بجانب جين بينما اقترب هو ليكلمهن وأضافت: «لكن يلزمك اسبوع واحد ليعيدك أسمر اللون كلون الغجر. أليس كذلك؟ لا بد أنه استغرق وقتاً طويلاً ليعطي اسمراراً مقبولاً. جين، هذا هو آدم فونتني.»

وقبل أن تتابع في تقديمهما إلى بعضهما البعض قال آدم: «لقد تقابلنا أنا وجين من قبل، وعدة مرات. مرحبا يا جين.»

ابتسم آدم إلى جين قبل أن يلتفت ليحيي المرأة الشابة بالقرب منها وقال: «مرحبا يا شارلوت.» وانحنى آدم هذه

المرة انحناءة احترام لها قبل أن ينتقل ليحيي اشخاصاً آخرين.

من الواضح أن علاقة آدم بشارلوت علاقة امتن من علاقته بلين، ولكن ربما كانت احدى صديقاته وكان تصرفه مجرد حدس لأنه ولا واحدة منهن سألت جين أين التقت بآدم، وتابعن حديثهن عن الثياب. حاولت جين أن تنتبه إلى حديثهن وأن لا تفكر بذلك الرجل الطويل القامة، الذي يرتدي بنطالاً أزرق من ماركة ليفايز وكنزة بيضاء من ماركة لاكوست وخاصة حضوره الذي وجدته مزعجاً.

وفي الحال دعت السيدة فارنهام ضيوفها الذي يبلغ عددهم حوالى اربعة عشر ضيفاً لتناول العشاء في مطبخ كبير منظم، وكانت المعدات عبارة عن أربع أو خمس خزائن للاطباق وأدوات الطهو، وقد وضعوا جنباً إلى جنب على طول مساحة الجدران. أما رفوف هذه الخزائن فكانت ملأى بالاطباق القديمة والاباريق والاكواز.

وكانت هناك طاولتان كبيرتان. واحدة مغطاة بغطاء قطني مخطط والأخرى مغطاة بحصيرة على سطحها المصنوع من السنديان. وكانت هاتان الطاولتان تمتدان من أول المطبخ إلى نهايته. وكتبت الأسماء الأولى للضيوف بقلم سائل احمر على أعلى المنديل. ووجدت جين نفسها تجلس بالقرب من رجل يدعى جون لم تلتق به من قبل. أما الجهة الأخرى فقد حجزت لآدم وامرأة تدعى ليز على الجانب الآخر منه، مقابل جين.

كان جين أن تقوي نفسها على الأقل لمدة ساعة أو ساعتين وذلك بسبب المكان المفروض عليها بالقرب من

آدم. وجلس بالقرب منها رجل بعد أن قدم نفسه وسحب لها الكرسي لتجلس عليها.

جلس الاثنان يتبادلان الحديث باختصار عندما وصل آدم إلى مكانه، لكنه لم يجلس إلى أن وصلت ليز واصر ان تجلس قبله.

وكما فعل جون قدمت ليز نفسها إلى جين وهي تشرح انها كانت شريكة لذاك الرجل ذات الكنزة الصفراء الذي كان يجلس على الطاولة الأخرى.

كانت ليز شخصية مفعمة بالحيوية لدرجة انها سيطرت على الحديث باكمله خلال تناولهما الوجبة الأولى، وكانت عبارة عن عصير لذيذ مع كريما وحساء الجزر المزين بزهر الكبوسين.

كانت جين تعلم أن زهر الكبوسين يمكن استخدامه في السلطة فافترضت أن الزهر وضع خصيصاً حتى يؤكل، ولكن جين اضطربت عندما شاهدت الجميع يضعون الزهر جانباً وأن الشخص الوحيد الذي كان يجلس بقربها والذي اكل الزهر هو آدم. وأخذت تفكر إذا ما أكل الزهر فقط لعدم احراجها. وإذا كان قد اكل الزهر من أجل شعورها فستكون هذه إشارة لا تتناسب مع ما اخبرها إياه هيكتور وديك عنه.

لم يتكلم آدم معها مباشرة حتى رجعا يحملان الوجبة الرئيسية بعدما ساعدا بعضهما البعض في اختيارها. وهذه الوجبة عبارة عن قطع اللحمة الباردة واطباق السلطة الجاهزة في الجهة الأخرى من الغرفة.

قال آدم: «اخبرتني روز أنه لا احد سيتعرف على المتجر في الوقت الذي ستنتهين من توضيبه.»

كانت قد رأت تلك البسمة التي رافقت ملاحظته من قبل عدة مرات خلال لقائهما الأول في تلك الليلة، وهذه البسمة تترك فيها شعوراً بالبهجة والسرور.

قالت جين بخفة: «أنا اتمتع بتجديد المكان... بتجديد المتجر ومحيطه وحتى يمكنني أن اجدد الساحة التي تقع خلف المتجر.»

«أنا متأكد من أنها ستتجدد. كما اخبرتني روز أن لديك ذوق مرهف.»

«يا له من اطراء جميل... وخاصة أن السيدة فارنهام لديها ذوق مرهف جداً.» قالت جين ذلك وهي تنظر إلى خزانة قريبة تحتوي على مجموعة أوانٍ صينية متعددة الألوان وبعض القطع الصغيرة تسعد العين لرؤيتها.

قال آدم: «كانت الصديقة المقربة بالنسبة لأمي وقد تقابلتا في مزاد علني عندما جاءت عائلتي إلى هنا. كلتاهما وضعتا اعينهن على منزل فيك دولز.»

«وهل نافسهما احد عليه؟»

«لا، لقد اشترته روز... وما زال ملكها. وبما أنها كانت خبيرة في ذلك الوقت في المزاد العلني فكانت تعرف أن معظم الناس يزايدون فقط بمعدل خمس أو عشر شلنات أو جنيهاً واحداً أو خمسة دولارات، وهكذا... وكانت روز تزايد بسعر أعلى بقليل، وبذلك تكون مزايدتها هي الأعلى. وتوقفت أمي عند مزايدة باربع جنيهات، وحصلت روز عليه بزيادة نصف كراون... أي اثنا عشر ونصف بنس من العملة المتداولة اليوم.»

قالت جين: «لقد فهمت. مزايدة ناجحة بعد خسارة الطرف الآخر، ولكن هذا لا يوحي ببداية صداقة حميمة؟»

«رغبت روز بشراء المنزل لأنه اكبر من الذي كانت تملكه وعندما رأت خيبة أمل أمي سألت في ما إذا كانت تود الحصول على المنزل الصغير مجاناً وكانت أمي تملك فيلا لابارنم وكان حجمها مناسباً لشخص يبدأ بجمع اللوحات المصغرة، وكانت روز قادرة على ان تنشر لها مجموعة من اللوحات في عشر غرف في قاعة ستروبري. بعد العشاء سأصطحبك إلى تلك الغرفة لتريها.»

لم تكن جين متأكدة إذا كانت ترغب بمرافقته إلى تلك الغرفة، وحتى هنا وبالرغم من أنها محاطة باثني عشر شخصاً، لكنها حذرة من انتفاخ عضلاته القوية الظاهرة، عارضا ذراعيه الطويلتين الملوحتين بأشعة الشمس وقدمه اليمنى المكسوة بالبنطال تحت الطاولة على بعد سنتيمتر من قدمها اليسرى. إذا شعرت جين باهتمامه لعرفت أنه من السهل ان يهتم بها في مكان بعيد عن المنزل وبعيد عن الثرثرة والضحك المستمر حولهما.

ومن دون أن ترد على اقتراحه قالت جين لليز: «هل كان لديك بيتاً للالعاب عندما كنت صغيرة؟»

هزت ليز رأسها وقالت: «كانت ألعابي صبيانية... أفضل تسلق الأشجار وصيد الاسماك على أن العب بلعب البنات. كان طموحي أن املك فرساً للسباق. كنت أحب الابحار. أليس كذلك يا آدم؟»

ومن أجل راحة جين أدى هذا السؤال إلى حوار عام عن الابحار وانتهت المواجهة وجهاً لوجه مع آدم على الأقل لهذه الفترة القصيرة.

تذكرت جين آخر وجبة تناولتها معه في انابلز. كم كان

جنوناً أن تدعي انها شخص آخر، وتمنت لو كانت هذه الليلة هي لقائهما الأول بدلاً من تلك الحفلة التنكرية الغبية في لندن. لم تستطع ان تتحمل مجرد التفكير أنه ربما اخبر روزامند فارنهام وأناساً اخرين ماذا فعلت به، لكنه لن يخبر احداً. هل سيفعل؟

أي نوع من الرجال هو؟ أهو محطم القلوب كما ادعى ديك؟ اهو رجل كالأولاد انتهز فرصة جهل بائعة المحل ليربح غرضاً يساوي أكثر بكثير مما دفع هو؟

وعندما جمع ضيفين من الضيوف الاطباق الفارغة، اعلنت روزامند ان هناك ثلاثة انواع من الحلوى: حلوى من القشدة مخفوقة بالشوكولا، فطائر الجبن وسلطة الفواكه. وخوفاً من ان يصطف الجميع على الطاولة، اقترحت السيدة ان يأتي الرجال فقط بعد ان يسألوا السيدات أي نوع من الحلوى يفضلن.

ونظر آدم إلى جين مقطباً حاجبيه.

«سلطة فواكه من فضلك.»

بقي جالسا ودفع بكرسيه إلى الوراء وقال: «انه الاختيار الصحي. ماذا عن الكريما؟ نعم؟ لا؟»

«قليل من الكريما من فضلك.»

«هذا ما اعتقدت أنك ستختارين.» وكان في عينيه الرماديتين ومضة من السخرية وكأن اختيارها اعجبه.

وعندما عاد ورأت ليز ما اختار قالت له ضاحكة: «يالك من حيوان وحشي يا آدم. أنت تعلم كم أحب الشوكولا وكم انه من غير العدل أن تجلس وتتخم نفسك بالحلوى المخفوقة بالشوكولا، بينما أنا وجين نقضم برفق سلطة الفواكه.»

www.elromancia.com

«عندي شك أن جين تحب الشوكولا وحتى لو كانت تحب فقد حصلت عليه بارادتها.» رد آدم وهو يحدق إلى ما يستطيع رؤيته من جسم جين الهزيل.

وبينما كان الرجال يحضرون اطباق الحلوى اخبرت جين عن الحمية التي كانت ترغب في اتباعها لتخفض وزنها سبعة كيلوغرامات قبل متابعة العطلة.

حاولت جين ما بوسعها لتتظاهر بالسعادة لكن في داخلها كان شيء ما يتفاعل نظراً لطريقة آدم في النظر إليها. وبعد كل هذا شعرت جين بشيء ما يسرع بنبضات قلبها.

وشعرت جين بأنه كان مشدوداً إليها وهما يتناولان الطعام في انابلز. وحتى في هذه الليلة شعرت بنفس الشعور حتى لو كانت ترتدي بلوزة رخيصة وتنورة قطنية ولم تكن كما بدت في لندن.

ولكن ماذا يريد منها؟ هذا هو السؤال المحير. فلقد مضى وقت طويل عندما نظر نيكولاس إليها بهذه الطريقة، لم تسأله يومها عن دوافعه، بل اعتقدت أنه وقع في حبها كما وقعت هي في حبه.

والآن بما أنها أكبر سناً وأكثر عقلانية، فقد عرفت أن هناك أسباباً عديدة لرغبة الرجال بالنساء وكثيراً منهم ليس لهم علاقة بالحب. سنوات وهي تستمع إلى امرأة أهل للثقة أخبرتها أن معظم آلام قلب المرأة كانت بسبب ميولهن نحو الرجل ليخدعن انفسهن وليصدقن مايردن تصديقه.

جين نفسها رغبت في أن يحبها رجل قوي ولطيف، يهتم

بها، ومن الصعب ان تنسب هذه الصفات إلى آدم عندما تبين لها أن ثقته بنفسه نابعة من الأنانية وليس من القوة.

وبينما كانت تأكل طبق الفواكه الذي احضره لها تذكرت وجود شخصين لا يحبان آدم.

ان السيدة فارنهام تحبه، ومما لا شك فيه أن رأيها كان مبنياً على حقيقة انه ابن لصديق مقرّب، ومن الطبيعي أن هذه الصداقة تجعلها ميالة إليه لتبدي رأياً حسناً به، اضف إلى ذلك أنها امرأة غير معفية من سحره. وبصورة عامة فإن الرجال هم أفضل قضاة في الحكم على الرجال الآخرين. فلم يكن لدى هيكتور وديك أية كلمة جيدة يتفوهان بها عنه.

وبعدما اعلنت ليز عن خططها في العطلة سألت آدم اين سيقضيها.

«لن اسافر إلى أي مكان فالمطارات في موسم السياحة أمر مزعج بالنسبة لي.»

«يمكنك ان تقول هذا الآن ولكن عندما يكون لديك عائلة لا تستطيع السفر إلى أي مكان ما عدا ايام العطلة.»

«إلى أن يأتي ذلك الوقت سأفعل ما فعله والداي، سأتجه في الاتجاه المعاكس من الناس.»

قالت جين لنفسها، إذاً، الزوجة والعائلة موجود أمرهما على لائحة مفكرته ولكن ليس في المستقبل المتنبأ له.

التفت إليها وقال: «اتذكر الآن عطل طفولتي. لقد ذهبنا إلى هبريدز وجزر القناة وفي بعض الأحيان كنا نذهب إلى النورماندي وبريتاني. اعتقد اننا تمتعنا كثيراً بجمع الاصداف وحفر الاقنية المائية بين المد والجزر اكثر مما

يتمتع بها اشخاص آخرون وهم يستلقون على شواطىء اوروبا الجنوبية ساعتين للحصول على لون البرونز. ما نوع العطل التي كنت تخططين لها؟»

«كنت ابقى في المنزل في بعض العطل وفي بعضها الآخر اقوم برحلات إلى لندن لازور الأمكنة والمتاحف المشهورة. وكان والدي يجول البحار، اما عمتي التي كانت تهتم بي وباختي لم تكن تسمح لنا بالسفر ولم اسافر إلى الخارج أبداً.»

تعجبت ليز مندهشة: «لم تسافري؟ ابداً؟ ولكن كان بامكانك ذلك عندما اصبحت راشدة؟ الا تحبين رؤية البلدان الأخرى؟»

وقبل أن ترد عليها جين قال آدم بصوت جاف: «يا عزيزتي ليز، ان الذهاب إلى منتجع اجنبي لمدة اسبوعين لا يشير بالضرورة إلى اهتمام ومحبة لهذا البلد، فأنت مثلاً ذهبت إلى اليونان عدة مرات، هل تعرفين عشر كلمات من تلك اللغة؟ هل يمكنك أن تعددي لي خمسة اشياء ممتعة عن الهياكل في مدينة اثينا؟»

بدت ليز مضطربة تماماً. فكرت بأن ليز لم تقصد أية اساءة بتعليقها هذا الذي ربما كان في غير محله، ولكن هل يستحق هذا التعليق جواب آدم اللاذع؟

«حسناً... لا. لا استطيع ان اعدد شيئاً. لكننا لم نذهب إلى اثينا، بل إلى الجزر، ولم نكن بحاجة لنتكلم هذه اللغة لأن اصحاب المتاجر كانوا يتكلمون الانكليزية.»

«وهذا جعلك ترتاحين لأن لا تتعلمي تلك اللغة المزعجة وأن تقولي في لغتهم «أرجوك، شكراً لك، صباح الخير.»

كانت لهجة آدم لهجة لاذعة مما جعلها تتورد خجلاً.

قالت جين بسرعة: «من بين البلاد التي زرتها أي بلد فضلت اكثر؟»

انتظرت ليز بضع دقائق قبل أن ترد على سؤالها ثم قالت: «في الحقيقة احب اميركا اكثر من أي مكان آخر في أوروبا، ليس لأنهم يتكلمون الانكليزية.» وحدقت بآدم نظرة غيظ وقالت: «ولكن في فلوريدا مثلاً ليس هناك شواطىء رائعة فقط بل هناك أيضاً تسهيلات أخرى أفضل، وهذا يعتمد على ما تحبين اكثر. فأنا لا اتمتع بمشاهدة المتاحف والمعابد، وأعلم الآن أن آدم سيقطب حاجبيه، لكني أفضل ان استعرض السلع المعروضة حول منتزه للمشاة.»

لم يقطب آدم حاجبيه ولكنه هز كتفيه هزة خفيفة وقال بسرور: «كما تقولين، كل واحد لديه ذوقه الخاص. فبلدي المفضل هو ايطاليا لكنني اعتقد أن والدي على حق في أن أفضل وقت للسياحة قد انتهى، فنحن نعيش في عصر السياحة وهذا لا يعني نفس الشيء.»

كانت جين على وشك ان تسأله إن كانت فكرة السفر إلى الفضاء تروق له، عندما قالت لها ليز: «إذاً لم تسافري إلى الخارج، أين كنت تقضين العطلة؟»

«كنت اتمتع بالبقاء في القرية، وكان هذا يعطي أختي فرصة للتسوق وحدها من دون أن تصطحب الاطفال معها. الا تعتقدين أن أهم أمر في العطلة هو أن يكون هناك تغيير شامل في حياة الشخص العادية؟»

سمع هذه الملاحظة بالصدفة رجل يقف إلى يمينها وكان

يتكلم مع جاره مما دفعه لاخبارهم عن رحلة للهواة المصورين الذي اشترك فيها السنة الماضية.

وانتهت الوجبة بشرب القهوة أو الشاي. فكرت جين أن آدم نسي ان يريها بيت العاب المضيفة التي كانت ترغب برؤيته ولكن ليس على حساب مواجهة أخرى.

ما زالت جين محتارة من قسوة آدم على ليز، واراد قسم منها أن يصدق أنه سحق ليز بكلامه لأنه شعر أن تعليقها يحط من قدر جين ولو كانت غير متعمدة.

ولكن احساساً آخر اخبر جين ان تجاوبه اللاذع ضد ليز ليس له علاقة بها وإنما الأمر انه كان رجلاً لا يرغب أن يعاني من الاغبياء، وافتراض ليز أن كل واحد يسافر إلى الخارج ليس اكثر من غبي.

وزعت اطباق الحلوى المصنوعة في المنزل مع القهوة واخذت روزامند فارنهام تدور حول الطاولة واعادت ملأ فناجين القهوة.

وضع آدم فنجانه الثاني قائلاً: «هل يمكنني ان اصطحب جين إلى حجرة اللعب لالقاء نظرة على قاعة الستروبري؟»

قالت وهي تضرب على كتفه ضربة خفيفة: «بالطبع يا عزيزي.»

كان ابريق الشاي الصيني المحتوي على الشاي المعطر قد احضر مع شخص آخر. دفع آدم كرسيه إلى الوراء متجاهلاً احتمال ان جين تريد فنجاناً آخر ونهض. وبعد لحظة أخذ يضرب بيده خلف الكرسي الذي كانت تجلس عليه منتظراً نهوضها ولم يكن لديها أي خيار سوى مرافقته.

كان سلم الطابق الأول والثاني مفروشاً ببساط واسع يرتفع إلى مساحات كبيرة صنع في تركيا. وكان اثاث هذين الطابقين من كراسي وطاولات جانبية. كما كانت هناك الواح زجاجية وضع عليها العصافير وباقات الأزهار المصنوعة من الصدف.

ولكن الدرجات الضيقة غير المكسوة بالبساط في أعلى الطابق كانت ظاهرة من خلال الباب الذي لم يغلقه آدم خلفه.

قال آدم بينما ترددت جين قليلاً لأن الباب الخشبي كتم الصوت الذي كان يدور في الحفلة في الطابق الأسفل: «سأصل إلى الطريق الآن، اليس كذلك؟»

تابع آدم حديثه: «هذا الجزء من البيت كانت الخادمات تنام فيه حتى الحرب العالمية الثانية.» أحدثت خُطوات قدميه على الدرج الخشبي اهتزازاً وازعاجاً أقل من المتوقع حسب حجمه. إذ ان وقع خطواته لم تكن قوية بالرغم من طول قامته وعرض كتفيه.

قال آدم: «كان هناك غرف للعب في أيامي، وما زالت هذه الغرف موجودة عندما يأتي أحفاد روز للاقامة معها.»

اخذت جين تفكر إذا ما كانت روز ترغب في أن تتخذه صهرا لها. ويبدو الأمر غريباً لأنه لم يقع في حب واحدة منهن إذ كن جميلات كأمهن.

كانت هناك عدة ابواب تؤدي إلى أعلى المبنى. وقال آدم وهو يفتح باباً من الأبواب: «هذه العلية الأكبر كانت حجرة نوم للخادمات. عندما ورثت روز وزوجها هذا البيت بنى زوجها هذا المبنى للمجموعة المؤلفة من القطارات التي كان يسمح لنا باللعب فيها بعد استشارته.»

«لا بد أنها تكلف مالاً كثيراً الآن.» قالت جين ذلك وهي تنظر إلى خطوط الشبكات المعقدة والمحطات والممرات والأنفاق والواح الجدران لمبنى خشبي مليء بمحركات مصغرة وحافلة كبيرة وعربات للاجرة. وكانت جميع هذه الأجهزة مغطاة بأوراق كبيرة من البلاستيك الشفاف منعاً لوصول الغبار إليها.

«نعم انها كذلك. كان آل كراوثوون قد باعوا محطة، ليس من مدة طويلة، وقد صنع هذه المحطة ماركلين عام ١٩٠٩ ألف وتسعماية وتسعة وهو واحد من اشهر صانعي القطارات في المانيا، وقد باعوها بسعر ٢٤ الف باوند. ولو اعيد دهنه كهدية للميلاد ما بين عامي ١٨٨٠ ألف وثمانماية وثمانين و ١٩٦٠ وألف وتسعماية وستين لروع هذه المدينة. وهذا المبنى لا يأتي بقدر كبير من المال. لكن هذه المجموعة قيمة، ولهذا السبب لا ترغب روز في بيعها وتريد الاحتفاظ بها لاحفادها.»

والتفت آدم ليفتح باباً آخراً وقال: «وفي هذه الغرفة، كانت الفتيات يملكن مزرعة ومجموعة من الخيل للسباق. اما اللوحات الزيتية فمخزنة في صناديق، الا إن كنت تستطيعين ان تشاهدي موقع تلك المزرعة.»

ومن بداية العلية الصغرى، رأت جين أن الألواح الموضوعة على الأرض كانت مطلية بلون اخضر بالإضافة إلى طرقات رمادية اللون وممرات محصنة بقضبان متصالبة بيضاء ونهر ازرق متعرج وبركة ورقع صفراء تمثل حقول الذرة.

قالت جين: «انه لمضحك ان يترعرع المرء في بيت

كبير كهذا، ومن المفترض ان يكون بيتك أكبر أليس كذلك؟»

«نعم. لكن لم أكن املك حرية الدخول أو التنقل في العليات لأنهم كانوا للتخزين. لم نستعمل اكثر من جزء صغير في البيت لنقيم فيه، والباقي منه يبدو كمنزل خاص لكنه في الحقيقة عبارة عن متجر.»

تابع آدم ليفتح باباً ثالثاً وبينما حثها على الدخول رأت جين أنه يحوي مجموعة تذكرها بمتحف الطفولة في بثنال غرين، وهو جزء بغيض خارج لندن وقد زارته برفقة العمة دي. كان هناك حصان هزاز معلقاً وعربة اطفال وحيوانات منتظمة ومحل جزار مع بعض النسخ المصغرة من جوانب البقرة. احتوت العلية ايضاً على كنوز الأطفال في العهدين الفكتوري والأدواري. ولكن العنصر الأساسي كان بيتاً للالعاب ذو وجهين اماميين مثبتا على طاولة منخفضة بحيث يصبح بإمكان الفتيات الصغيرات مشاهدة ما في داخله من مستوى منخفض.

وعندما ثنى آدم وراء المسطح الصغير توقفا على جنبي السطح ولهثت ببهجة.

«كم ستحب آبل هذا المكان! ربما استطيع أن احضرها لمشاهدته عندما تأتي لتقيم معي؟»

«آبل؟ من هي آبل؟»

«هي ابنة شقيقتي.»

شعرت جين ان دمها الساخن يتوهج على وجهها ومن اجل اخفاء ذلك انحنت لتحدق في المطبخ الموجود في الأسفل، حيث كان يقف طباخ يرتدي مئزراً أبيض وعليه

طبعة. كان يطهو المعجنات ويغز دبوساً كبيراً مما دفع جين لتخمن أن العجينة في حالة جاهزة للطهي.

«أنا متأكد أن آبل ستسعد بذلك ويجب أن تحضريها لرؤية بيت الألعاب. لدي اقتراح. هل تسمحين لي أن ارافقك إلى البيت؟»

الفصل الخامس

قالت وخداها ما زالتا متوردتين: «لقد أتيت برفقة مرغريت بول، ولا اعتقد انه لائق أن اغادر المكان برفقة شخص آخر.»

«لن تمانع ماغي. سأشرح لها انني أود أن اتكلم معك.»

«ألا يمكن التكلم هنا؟»

«ليس الآن وأنت تراقبين بيت الألعاب. فأنا اريد انتباهك الكلي.»

جلس آدم على كرسي قديم مغطى بغطاء قديم، بينما كانت هي تتفحص بيت الألعاب باهتمام.

كان هناك بساطاً مفروشاً على الأرض امام ستروبيري هول، فانحنت جين على ركبتيها وهي تتفحص الغرفة.

كانت ستستمتع بمعاينة الغرف لو كانت في ظروف مختلفة، غرفة الرسم، غرفة النوم وغرفة الحضانة حيث وقفت حاضنة ذات شعر رمادي تغسل طفلاً صغيراً.

ولكنها كانت تشعر بارتباك في الوقت الحاضر، ووجدت صعوبة في التركيز على أي شيء. سجلت عيناها تفاصيل المكان. كالببغاء القرمزي الموجود في مكان عالٍ في القاعة، وخادمة المنزل ذات الوجه الصيني وهي تحبك بدبابيس الخياطة. ولكنها شعرت بالاحراج لاظهار ارتباكها عندما فتح لها آدم باب المنزل.

كانت جين قد كذبت عليه مرة وندمت على كذبتها والآن

www.elromancia.com

اخبرته نصف الحقيقة وأيضاً شعرت باليأس وكأنها كذبت مجدداً.

كان هناك وقع خطوات على الدرج تشير إلى أن أحدهم قادم لينضم إليهما. كانت فارنهام. روزامند فارنهام.

«لا تنهض، يا آدم. أتيت فقط لأخبر جين أن مرغريت اضطرت للانصراف باكراً. فقد عض هر الجار قطة أمها وأرادت السيدة بول من مرغريت أن تسرع إلى البيت لتسعفها. حقاً هذه المرأة هي كصداع في الرأس فهي متملكة، غير خدومة وأنانية بشكل لا يصدق. لا أعرف كيف تتحمل مرغريت هذا. لا اعتقد أن مرغريت ستتخلص منها يوماً.»

قال آدم بجفاف: «ليست مضطرة لتتحمل أنانية أمها. لو كانت تملك القليل من الذكاء لأخبرت السيدة بول ان تعالج جروح القطة بنفسها.»

«الكلام اسهل من الفعل يا عزيزي. كانت مرغريت تحت سيطرة امها طوال حياتها واشك في انها ستثور يوماً ما. كانت قلقة من ترك جين هنا، ولكنني قلت لها انك ستلحقي بها.»

اعتذر آدم قائلاً: «تمتعا بوقتكما. اعذراني أريد أن اتكلم مع عائلة ستراتون قبل أن يغادرا.»

قالت السيدة فارنهام بعد انصرافه: «ان عائلة ستراتون لديها حاضنة اطفال كبيرة في السن ولا تستطيع البقاء بعد الساعة الحادية عشرة، لذا فهم دائماً أول المغادرين.»

مالت إلى الأمام وبدأت تخبر جين عن بعض الأشياء الموجودة في البيت وأين وجدت هذه الأغراض، وكيف

كانت تكلف فقط بضعة باوندات في تلك الأيام عندما كان اطفالها صغاراً وأنه لم يعد أية قيمة تذكر للباوند الآن.

وبعد نصف ساعة، هبطوا السلم ثم بدأ الناس بالمغادرة. كان يوم غد السبت، ومعظم هؤلاء الناس ليس عليهم الذهاب إلى أعمالهم لكن لديهم الواجبات العائلية وعليهم زيارة اهلهم واقاربهم. وحتى ليزا بالرغم أنها غير متزوجة فقد غادرت.

فقط امرأتان كانتا غير حرتين كالغير، مارغريت التي بدت وكأنها مقيدة بأمها، وجين صاحبة المستقبل المبهم. هل سيأتي يوم وتجد نفسها مع شريك؟ فكرت جين بينما كانت تشاهد هؤلاء الذين كانوا يودعون.

وفي هذه اللحظة وقف آدم حيث كانت تقف قائلاً: «حان وقت الرحيل. ألا تعتقدين ذلك؟»

«وماذا عن غسيل الأطباق؟ ألا يجب أن نساعد في هذا أولاً؟»

«تملك روز جلاية كبيرة. وهي الآن تحمل كل هذه الأطباق.»

وعندما جاء دورهم لمغادرة المكان قالت جين: «كانت أمسية رائعة يا سيدة فارنهام. شكراً لدعوتك لي.»

قالت المضيفة: «أوه. ادعيني روز. عليك زيارتنا مجدداً وقريباً.» ودهشت جين عندما انحنت وطبعت قبلة على خدها. «كنت اراقبك خلال العشاء... وأنا أذكر كم كنت تبدين فاتنة في البلوزة الصيفية، وكم كنت مستمعة جيدة، فالعالم مليء بالثرثارين ولكن الأشخاص الذي يستمعون إلى الغير، نادرون... اليس كذلك يا آدم؟»

كان مدحها لجين غير متوقع تماماً كقبلتها. لكن جين لديها شعور بالذنب لأنها بدت وكأنها تستمع لكنها في الحقيقة كانت تفكر في ذاك الرجل الطويل الواقف قربها.

سألت بينما كانا يحكمان أحزمة أمان السيارة حولهما:

«منذ متى وروز أرملة؟»

«حوالي خمسة عشر عاماً. احب الجميع مايلز لكنه لم يكن زوجاً مثالياً. فقد بدّد الثروة بتهور في محاولة منه ليصبح غنياً أكثر. كان يتنمر من روز لأنها كانت تنفق المال على مجموعتها، ولكن في الحقيقة كانت توفر اكثر مما كانت تنفق. كان لديها حدس جيد، وفي بعض الأحيان كانت تجمع مكاسب ضخمة من أشياء كان يبيعها آل كراوثورن في المزاد العلني. لكن بالنسبة لأهلي كانت روز ومايلز سعيدين بالرغم من المصاعب المادية التي تعرضا لها.»

عندما وصلت جين ومرغريت برفقة آدم إلى البوابة الرئيسية توقعت جين أن يحول آدم اتجاه السيارة يميناً، ولكن عوضاً عن ذلك اتجه شمالاً. كان ينوي أن يسلك طريقاً مختلفاً إلى غوزبك.

قالت بعد أن قطعا مسافة قصيرة، ساد خلالها الهدوء:

«ما هو الأمر الذي تريد أن تكلمني عنه؟

«إن والدي متقدم في السن ولم يتقاعد بعد. ولكن هناك فائدة كبيرة في العمل كما يعتقد أبي. فهو بحاجة إلى مساعد كفوء، لذا اسألك إن كنت ترغبين بالعمل معه كمساعد.»

«لكنني أعمل... فأنا أهتم بهيكتور واعمل على إعادة

عمله مزدهراً كسابق عهده. اعتقد انك ستأخذ مكان والدك عندما يتقاعد. إذاً، لِمَ لا تعمل معه منذ الآن؟»

أجاب آدم: «لأنني حصلت على مقعد في مجلس الكراوثورن براتب بضعف راتبي الحالي وقد قبلت به. ومستقبل الأعمال كأعمال والدي غير مؤمن يا جين. والآن، ان القطع الجيدة نادرة ولكن بعد عشر سنوات أو أقل قد يصبح من الصعب الحصول عليها بأسعار تتناسب وميزانية الزبائن، وهذا طبعاً يطبق على تجارة الآثار القديمة بشكل عام. وأنا لا اعتقد انك ستستطيعين احياء تجارة بكلز من جديد، فقد مضى على افتتاحه وقت طويل.»

«اعترف بأن التجارة في التراجع... نعم، لكنني اعتقد انني استطيع أن اعيدها إلى سابق عهدها... وهذا الأمر يستحق المحاولة.»

«ولكن هناك ثرثار يقول ان الرجل في حالة سيئة صحياً، أي بكلمة أخرى انه مريض.»

وافقت جين: «نعم هو مريض. ولهذا السبب لا استطيع التخلي عنه.»

«لم اقترح أن تتخلي عنه، ولكن بدل الاستمرار بهذا المجال بعد موته ربما تستطيعين العمل مع والدي وعمره تقريباً من عمر بكلز ولكن صحته جيدة، ولأن أبوه وجده قد عاشا حتى عمر التسعين، فهناك فرصة جيدة من أن يعيش والدي إلى هذا العمر!»

«هل ناقشت الموضوع معه؟»

«لا. أردت أن استشيرك اولاً.»

سألت مستفهمة: «ما الذي يجعلك تفكر بأنني الشخص المناسب للعمل في حال كنت حرة؟»

«إذا كنت سكرتيرة من الدرجة الأولى في لندن كما سمعت، وإذا كنت قد حولت المحل من حالة الفوضى إلى الترتيب بمفردك، فلا بد انك شخص غير عادي ومميز. واضيفي إلى ذلك كما وصفتك روز ونحن نغادر، بأنك مستمعة جيدة ولن تظهري أي انزعاج إذا بدأ والدي في الاستغراق في ذكرياته لأنه ميال إلى تذكر تلك الأيام كثيراً.»

ثم أضاف: «اعتدت المجيء إلى هنا للصيد عندما كنت صغيراً انه مكان رائع للنزهات. ربما لم تكتشفيه بعد.»

وبالقرب من حافة البركة امتدت الطريق الضيقة إلى أرض خضراء كبيرة كانت تكفي ليقف فيها العديد من السيارات.

قال: «هناك ممر حول البحيرة. اعتقد انك تودين تنشيط الدورة الدموية في رجليك.»

كانت بالتأكيد ليلة رائعة للتنزه، فالسماء صافية والقمر مكتمل تقريباً. لو كان ديك برفقتها لما شعرت بالارتباك. فديك كان سيسألها اولاً عن رأيها حول القيام بهذه الجولة ولكن آدم كان متأكداً من قبولها حتى قبل أن يسألها. ان فكرة التنزه معه كانت محفوفة بالمخاطر وبعدة احتمالات مما جعلها تترقب حدوث شيء مفاجيء.

جعلها تبدو مثالية ولكنه كان يعرف أنها ليست كذلك إذ كانت لديه تجربة مباشرة لتظهر العيوب في شخصيتها.

تابع قائلاً: «أعيدي التفكير بالأمر يا جين. لا تدعي الفرصة تفوتك. فهناك مآزق كثيرة لا يسهل حلها في ادارة الأعمال. غالباً ما اخبراني به والداي عن هذا الأمر. كانا

يعلمان كم من الصعب الاستمرار بإدارتها، لذلك لم يبدآ بالعمل كتجار بل بدآ في ايام عندما كانت التحف متوفرة.»

أجابت: «لو كنت وكيلاً حراً... ولو كنت ابحث عن عمل، لكنت رغبت في العمل مع والدك... إذا وجدني مساعدة كفوءة. ولكن ربما يعيش هيكتور لمدة طويلة وهذا ما آمله. اصبحت الآن مولعة به... بالرغم من انني اعلم بأنك تكرهه وبالتالي فهو يكرهك.»

أملت جين من ملاحظتها هذه ان تجعل آدم يشرح وجهة نظره وسبب عدائه لبكلز، لكنه لم يفعل. وبعد بضع دقائق، كبح فرامل السيارة وتوقف.

ربما بدت كشخص على درجة كبيرة من الثقافة عندما قابلها لأول مرة، وبالتأكيد كانت في عمر جعل الناس يستنتجوا انها تتحلى بالثقة بالنفس وانها قادرة على التكيف مع مختلف المواقف والظروف، ولكنها في الحقيقة لم تكن كذلك لأن الحياة لم تعلمها إلا القليل عن كيفية التعامل مع الرجال مثل آدم.

استطاعت أن تتأقلم مع ديك لأنه كان شخصاً عادياً ولكن آدم كان جريئاً وواثقاً من نفسه بصورة غير اعتيادية لم يفكر ابداً في انه يتعامل مع فتاة لا خبرة لديها وكأنها فتاة تقليدية خبرتها مع الرجال كخبرة جيل أمه.

قال بينما كانت تخرج من السيارة: «إنني أتخيل انك كنت مشغولة جداً لتقومي باستكشاف المنطقة.»

«نعم.» هل لاحظ صوتها الأجش الغاضب؟ شكت في الأمر...

ربما ترغب في المشي إلى حافة البركة والاستمتاع بهذا

المنظر ولكن الوقت متأخر للقيام بنزهة كهذه. ربما يستيقظ هيكتور ويكتشف غيابها فيقلق، وخاصة ان الساعة قد تجاوزت منتصف الليل. ولكن قبل أن تحتج عن رفضها لهذا الوضع، قال لها آدم: «من هنا.»

عبرا الممر الذي كان ضيقاً بشكل لا يسمح لأن يمر فيه اثنان معا. مشى آدم قريباً منها. إن ارادت أن تضع النقاط فوق الحروف فربما هذه الليلة مناسبة لذلك. ربما طلبه للتنزه معها قد يدفعها إلى التفكير أو الوصول إلى تحليل خاطىء فربما كل ما كان يريده آدم هو فقط التجول والتنزه حول البحيرة.

قالت وكان صوتها أقل حدة: «أهي بحيرة طبيعية؟ اخبرني احدهم انه كانت هناك بعض اعمال البناء في هذه المنطقة.»

«هذا صحيح. ولكن هذه البحيرة لم تكن من ضمن ورشة الاعمار. ان هذه البركة موجودة منذ قرون، فيها تعلمت الغوص والسباحة. ابن روز الأكبر كان مولعاً بالرياضة المائية في أيام العزوبية فنقل حماسه إلى اخيه الأصغر. هل تحبين الماء يا جين؟»

«اعرف السباحة ولكنني لم اتمرن كثيراً.»

«إذا سمح الطقس فسأنظم رحلة إلى الشاطىء في نهاية الاسبوع.»

وصلا إلى نهاية الممر. ووجدت جين نفسها امام فسحة واسعة مغطاة بالاعشاب وتحيط بها أشجار عالية. تمايلت الأشجار الصغيرة المرصوفة على جانبي الضفة من نسيم الماء العليل. كما اصطفت الاشجار قرب المنصة القديمة المهدمة.

نظر إليها ملياً ثم قال: «اعتقد انه من الأفضل ان اصطحبك إلى البيت.» كان صوته أجش تماماً كما كان صوتها في السابق.

وفي طريق العودة لم يتكلما.

كانا في السيارة عندما قال: «غداً، سأسافر إلى نيويورك. سأمكث هناك اسبوعين. هل تتناولين طعام العشاء معي عندما اعود؟»

استطاع ان يسيطر على صوته. ربما بذل مجهوداً كبيراً ليسيطر على اعصابه ويضبط رغبته.

«شكراً لك... أود ذلك. هل أنت ذاهب في عمل؟»

شرح لها سبب زيارته وانه سوف يقوم ايضاً بزيارة عدة مدن اميركية.

قال لها وهو يودعها: «انتبهي إلى نفسك إلى أن اعود.»

أجابته بعفوية: «شكراً لاحضاري إلى المنزل.»

«كان ذلك أفضل وقت من الأمسية. تصبحين على خير.» استدار وابتعد عنها باتجاه السيارة.

بينما كان آدم في اميركا، دعى ديك جين إلى حفلة بسيطة في منزل والديه.

«ستقدم أمي الطعام لأنها تتمتع بذلك. لكن هذه الحفلة لاصدقائي.» اخذ ديك يشرح لجين. «ان أبي وأمي يسعدان نفسيهما كثيراً بالرغم من أنها طاهية ممتازة وخاصة بصنع الكعك وذوقها الجيد في صنع الشراب. سالي... زوجتي السابقة كانت تحب إقامة الحفلات. كانت تجيد طهي الباستا ولم يكن هناك أي تذمر أو أي ملل، وكل واحد منا كان حراً باختيار الطبق الذي يحبه. كل واحد منا كان

سعيداً فقط بطبق السباغيتي أو طبق الهريسة اللذين لا يتطلبان وقتاً طويلاً لتحضيرها عكس الاطباق الأخرى المكلفة، لكن أمي تقول بأنها تحب كل هذه السخافات التي تتعلق بتحضير الاطباق الصعبة إذا كان هذا الأمر يسعدها...» وهز كتفيه استهجاناً.

في اليوم السابق للحفلة، حصلت جين لنفسها على سيارة من كراج القرية، وبهذه الطريقة كانت قادرة على قيادة السيارة بنفسها إلى منزل اسبورن بدلاً من الذهاب على الدراجة أو أن تدع ديك يوصلها إلى المنزل.

جهزت أمه المائدة. اندهشت جين لعدم رؤية التحف القديمة في بيت رجل يدير المزادات لبيع التحف الأثرية القديمة.

كان كل شيء في المنزل من نوعية جيدة ولكنها عرفت منذ اللحظة الأولى لدخولها إلى القاعة بأنها وأم ديك لا يتمتعان بالذوق نفسه. فجين لا يمكن أن تختار هذه النوعية من السجاد والستائر، ولكن والدة ديك كانت فخورة جداً بمنزلها.

قدمها ديك إلى أمه. فقادتها إلى غرفة الجلوس. عندها ادركت جين أنها ليست أول الواصلين، من الأصوات القادمة من غرفة الجلوس. خلعت جين السترة التي كانت تلبسها فأخذتها السيدة اسبورن منها وعلقتها في الخزانة.

قالت السيدة اسبورن: «اخبرني ديك بأنك كنت سكرتيرة في لندن. لا بد انك وجدت حياة القرية هادئة، أليس كذلك؟»

أجابت جين: «افضل العيش هنا. لم اكن افضل ابداً العيش في المدينة.» كانت جين تبتسم. شعرت بأن سيدة المنزل تتفحص ثوبها في محاولة منها لمعرفة سعره ونوعيته.

زملاء آدم في شركة كراوثورن بقسم الملابس القديمة، عرفوا أن هذا الثوب كان نموذجاً من نماذج ما قبل الحرب. كانت اوليفيا تشتستر قد اشترته بثلاث جنيهات ولكن كان وقتها ثمناً مرتفعاً لفستان في وقت كان أجر العامل فيه خمسين شيلنغ اسبوعياً. كانت قد اشترته من محل يدعى سينغلوف ومارشال. ولكن هذا المحل قد اقفل منذ مدة طويلة واختفى اسمه من لائحة المتاجر الموجودة في لندن.

كان ثوباً نموذجياً في وقته وخاصة لفترة بعد الظهر وهو عبارة عن تنورة ملتفة بقطعة من القماش التي وصلت تحت مستوى الركبة وربطة عنق للزينة. كان مصنوعاً من الحرير الناعم الملون ببقع بيضاء وصفراء. كان يتمتع بميزات جميلة بالرغم من سعره الرخيص هذه الأيام.

ما هو رأي السيدة اسبورن بهذا الثوب، تساءلت جين إلا انها لم تستطع معرفة ذلك، وهذا الثوب جعلها تشعر بالراحة. كانت هذه الميزة قد اخذتها عن السيدة تشتستر التي علمت جين بأن أي شيء مصنوع بدقة يمنح مرتدي الثوب الثقة بالنفس. وعلى الأقل لقد منحها هذا الثوب الشعور بالارتياح. ولكن حالتها النفسية المرتاحة لم تكن لها علاقة بالفستان بقدر ما كانت بسبب وجودها في مكان تحبه وعملاً ترتاح له وحيث تستطيع اقامة علاقات صداقة كثيرة.

هذه المرة لم تكن تشعر بأنها غريبة مثلما شعرت في الليلة التي ذهبت منها إلى معرض كراوثورن وقابلت آدم.

سألت من باب اللياقة: «اعتقد أن حفيدك في السرير؟

أومأت السيدة اسبورن برأسها علامة الموافقة: «أنا ضد

الفكرة الحديثة التي تسمح للأطفال بالسهر حتى ساعات متأخرة. لقد استحم توني عند الساعة السادسة والنصف. انه معتاد على الحصول على ما هو افضل له. ربما لم ينم بعد لكنه يعلم انه من الأفضل له البقاء في السرير بدل النزول إلى هنا وخاصة بعد أن أصبح في سريره وتلقى قبلة المساء. انه فتى صغير مهذب لا يقوم بأي ازعاج. انه صورة عن زوجة ابني. كانت إمرأة رائعة.»

علقت جين قائلة: «نعم. اخبرني ديك عنها... كانت مأساة مفجعة لكم جميعاً.»

«أجل، لقد كانت كارثة بالنسبة لنا جميعاً وخاصة بالنسبة له. كانا مناسبين لبعضهما البعض. ان ديك يخفي مشاعره من أجل مصلحة الولد ولكنه لم يتغلب على حزنه ولا اعلم إذا كان سيتغلب في المستقبل.»

فهمت جين الرسالة بكل وضوح، ولكنها لم تستاء للأمر لأنه كان أمراً طبيعياً بالنسبة للسيدة اسبورن من أن تحترس من الفتيات اللواتي ربما كن يحاولن الحصول على ابنها. فرجل في وضعه كان معرضاً لهذه المواقف ولتخطيط النساء ولأن هناك عدداً كبيراً من النساء بالرغم من انهن غير منجذبات إليه قد يجدونه تذكرة سريعة للوصول إلى مآربهن.

كان ديك يتجول في القاعة عندما لمحها.

«مرحبا، جين. انه لثوب رائع. آسف لأنني لم أكن في استقبالك. ولكن هذا ليس ذنبي فقد عجزت عن الحضور اليك بسبب شخص نافد الصبر. قبل أن نتوجه إلى حجرة الجلوس اتودين ان تسلمي على تومي؟»

اجابت جين وكانت امه لا تزال واقفة بقربها:

«أود ذلك حقاً. ولكن هل هذه فكرة جيدة لتصطحب فتاة غريبة إلى غرفة نومه؟ من المحتمل أن يكون قد استغرق في النوم!»

«ليس بعد، فهو لم يغفُ بعد. تعالي.»

ترددت جين قليلاً ثم سألت السيدة اسبورن: «ماذا تعتقدين سيدة اسبورن؟»

هزت امه كتفيها وأجابت: «انه طفل ديك. انا فقط جدته.»

قال ديك: «إذاً هذا هو الأفضل لحفيدك. سنعود بعد لحظات يا أمي.»

كانت غرفة الطفل تقع في نهاية ممر ضيق مكسو بالسجاد. عندما فتح ديك باب غرفة النوم، نهض الولد بسرعة ليعرف من فتح الباب. كان لايزال مستيقظاً.

قال أبوه: «هذه هي الآنسة تونتون.»

«مرحبا، يا تومي.» وقفت جين إلى جانب السرير ووضعت يدها على رأسه وهي تبتسم.

كان واضحاً من أنه يتلقى دروساً في الاخلاق. وضع يده الصغيرة في يدها وقال بشكل رسمي: «كيف حالك؟»

بشرته النظيفة والنظرة الودودة في عينيه ذكرت جين بأطفال أختها وخاصة آبل. سألته بحلاوة: «هل تساعد والدك في التحضيرات للحفلة؟»

«قليلاً. حضرت مناديل المائدة وسمحت لي جدتي بأن ألحس الملعقة التي كانت تمزج بها خليط الكعكة... بعد أن انتهت منها... هل انت السيدة التي تهتم بالسيد بكلز؟»

«نعم فأنا اساعده في توضيب المحل.»

«اعتقد أنه متجر رائع.» توقف قليلاً ثم اضاف: «لكن جدتي لا تذهب إلى هناك. قالت بأنه خلية من الجراثيم.»

ضحكت جين ثم قالت: «ربما كان في السابق ولكن ليس هناك جراثيم الآن. وآمل في المرة المقبلة ان تزورني انت وجدتك عندما تمران من قرب المحل. والآن من الأفضل ان اودعك وانزل إلى تحت والا ستوبخني جدتك لأنني ازعجتك. تصبح على خير يا تومي. نم جيداً.»

«تصبح على خير أيها البطل.» انحنى ديك وطبع قبلة على خد الطفل.

قالت جين بينما كانا ينزلان على السلالم: «كم هو رائع أن يحسن التصرف وكم هو مؤلم ان تتحدث إلى اطفال لم يتعلموا الرد بطريقة مهذبة.»

«هذا ما اعتادت سالي أن تقول: لقد علمته طريقة المصافحة بشكل لائق ومهذب وأن يتحلى بالصفات الحميدة. ولكن مع اطفال بعمره قد يتخلون عن طريقتهم اللبقة في التحدث، كما حصل منذ قليل.»

«انه شخص صغير جداً وحلو المعشر. ان أمك على حق. فان المتجر كان مليئاً بالجراثيم قبل أن اصل.»

قال بصوت منخفض: «أمي صعبة المراس قليلاً وتزداد صعوبة كلما تقدم بها السن. اعتقد أنه سيحصل خلافات كثيرة في المستقبل، فثلاثة اجيال في عهد واحد دائماً يثيروا المشاكل. ان الأطفال بطبيعتهم مشاغبين ومتهورين وهذا البيت صمم لاشخاص كبار. فأمي لن تأخذ الأمر ببساطة في حال انكسار قطعة من كنزها بالصدفة.»

أومأ برأسه باتجاه خزانة صينية كبيرة قرب الباب

الأمامي. وتابع: «لكن ليس كل القطع في آمان خلف الزجاج فبعض من قطعها المفضلة معروضة في حجرة الجلوس. اشترينا لها القطعة الأولى، عندما كنت أنا وسالي نقضي شهر العسل في اسبانيا والآن يمكنك الحصول على هذه القطع في انكلترا، أبي يقدم لها قطعة في ذكرى مولدها.»

رن جرس الباب في هذه اللحظات. ووصل مزيد من الضيوف.

قال ديك: «تعلمين أين تضعي معطفك يا بولي.» ثم قدمهما إلى جين. «حان الوقت لتشربي شيئاً يا جين. ماذا أحضر لك؟ برتقال؟ أناناس؟ مانجا؟»

«مانجا من فضلك.»

دخلت جين إلى غرفة الجلوس حيث كان يقف حوالى ستة اشخاص في وسط الغرفة يتناقشون حول موضوع برنامج تلفزيوني.

قال ديك تاركاً اياها مع مارك: «الشراب اولاً ثم التعارف.» وغادر ليحضر الشراب.

استطاعت سماع حديث المجموعة قربها. قال مارك: «بما اننا لا نملك فيديو، فإننا نفوت علينا الكثير من حلقات التلفزيون، وخاصة تلك البرامج التي تعرض ونكون خلالها مدعوان إلى حفلة. بولين تصر على شراء واحد مع انه لا يوجد برامج كثيرة للتسجيل. هل تملكين واحداً؟»

هزت جين رأسها وأجابت: «اعيش مع قريب لي كبير في السن وهو لا يوافق على مشاهدة التلفاز. وبالنسبة له فإن برامج التلفاز عن الآثار القديمة قد افسدت هذه التجارة.»

«لماذا؟»

«يجعل الأمر يبدو وكأنه شيء مر عليه الزمن، ثانياً يعطي للناس فكرة خاطئة عن قيمة القطع القديمة. لست متأكدة إذا كان محقاً في رأيه لكنني لا استطيع القول انني افتقد التلفاز، لطالما فضلت المطالعة على مشاهدة التلفاز.»

انضمت اليهما في هذه اللحظات زوجته بولين التي على ما يبدو قد سمعت الجملة الأخيرة.

«ليس لدينا وقت للقراءة، اليس كذلك يا مارك؟ كلانا نعمل ونذهب أيضاً في المساء إلى مدرسة ليلية مرتين في الأسبوع. ليس لدينا وقت فراغ.»

وضعت يدها على ذراعه وابتسمت له ولكن عندما نظرت إلى جين كانت نظراتها تحمل عداءاً واضحاً.

من المستحيل أن تعتبر بولين أنها تشكل تهديداً على زواجها. وصلت إلى نتيجة مؤكدة وهي ان الرجال دائماً يعاملونها بلطف بينما النساء لا. ولا واحدة منهن اشركتها في أية محادثة فعندما كانت تبدي أية ملاحظة كان الرجال يظهرون اهتمامهم بينما النساء لا يتجاوبن.

ولانهن قد نجحن في ازعاجها فقد كانت أول المغادرين.

رافقها ديك إلى السيارة وبينما كانت تفتح الباب قال:

«اتصلي بي عندما تصلين، هلا فعلت؟ وإلا سأفكر في أن مكروهاً قد حصل لك.»

«لكن الرحلة لا تستغرق اكثر من ثلاثة اميال.»

«ولو، سأشعر بالسعادة عندما اعلم انك وصلت بأمان. فثوبك لا يسمح لك بتغيير العجلة. حتى لو استطعت نفخ العجلة فإن العجلة محكمة التثبيت ولن يكون بمقدورك ان...»

«شكراً على هذه الأمسية الرائعة. كما ان طعام والدتك كان لذيذاً.» ثم استقرت على المقعد خلف مقود السيارة وقالت: «سأتصل بك.»

اخبرها وهو يطل من خلال شباك السيارة: «ولكن المشكلة هي انك بدوت جذابة جداً بثوبك هذا، فقد جعلت النساء الاخريات تحسدنك، وهذا لم يعجبهن.»

تعجبت لتعليقه هذا وشعرت أيضاً بالارتباك من لهجته الغريبة، فأجابت: «ان ثوبي هذا غير ملفت للانظار كما تقول، بل على العكس تماماً.»

«ليس من الضروري ان يكون ثوباً غالي الثمن ليكون جذاباً وملفتاً للنظر، إنه ثوب رائع وانت تبدين فيه رائعة.»

بدأت الشكوك تراود رأسها فأخذت تتساءل ماذا يقصد بمجاملته تلك وقررت أن تنصرف بسرعة. فقالت بتهذيب:

«شكراً مجدداً على هذه الحفلة وتصبح على خير يا ديك.»

كانت قد ادارت محرك السيارة عندما انتهت جملتها ولكنها لم تستطع السير بها حتى ابتعد عن السيارة.

كان هيكتور مستيقظاً عندما وصلت إلى البيت.

«هلا صنعت لي فنجاناً من الشاي يا جيني.» اعتاد على مناداتها بهذا الاسم الذي أعجبها.

وبينما كانت تنتظر الماء ليغلي، قطعت بعض الخبز الأسمر وصنعت لنفسها سندويتشاً من اللحمة وشرائح البصل.

قال هيكتور عندما حمل فنجان الشاي: «الم تتناولي الطعام في الحفلة؟»

«نعم. ولكنه لم يكن من نوع الطعام الذي اعتدت على تناوله.»

«لقد تخليت عن الذهاب إلى هكذا حفلات منذ عدة سنوات. هل قابلت احداً مسلياً؟»

هزت رأسها وأجابت: «لقد استمتعت أكثر بحفلة السيدة فارنهام.»

«حسناً. بإمكانك عدم الذهاب إلى هناك مرة اخرى... الا إذا كان ذلك الشاب يعجبك.»

«لكنني لم اعرفه إلا منذ وقت قصير.»

«هل تحتاجين إلى وقت طويل لتعرفي إذا كنت تميلين إلى شخص ما؟ انه فتى مهذب على أية حال... لم اسمع إلا كل خير عنه... ابن جيد... زوج جيد. ومستقبل باهر.»

«هذا صحيح، باستطاعته أن يختار أية امرأة يريد. ولكنني لا أجد سبباً واحداً ليختارني أنا، فانا لست مليئة بالحياة، يا هيكتور.»

«وماذا يهم؟ إنه لا يحتاج إلى فتاة شابة بل إلى أم لابنه وزوجة تعرف كيف تجعله يرتاح.»

تركت مكانها لتملأ له فنجانه الفارغ. «أنا مشغولة جداً بالاهتمام بك.»

قالت دون تفكير وندمت على ملاحظتها عندما قال: «لوقت قصير... وليس لمدة طويلة.»

«أوه، هيكتور...» امتلأت عيناها بالدموع وبسرعة انحنت وقبلته على خده. «اتمنى ان يكون هذا لوقت طويل وأنا سعيدة بالعيش معك هنا.»

أجابها بفظاظة: «انه امر حزين إنك لم تأتي للعيش معي

من قبل، ولكن الآن على الأقل سيكون لديك مأوى وعمل. واتمنى لو أترك لك ثروة كبيرة... كنت سأترك لك ثروة لو لم يسرقوا هؤلاء اللصوص مني التحفة الأثرية الثمينة.»

www.elromancia.com

الفصل السادس

في اليوم التالي، ارسلت جين بطاقة شكر لعائلة اسبورن. فكرت بأنها طريقة جيدة لتشكر فيها أم ديك وتمدحها للمأكولات الشهية التي قدمت اثناء الحفلة.

مر اسبوع دون أن تسمع جين شيئاً من ديك وعندئذٍ بدأت تفكر إذا كانت امه قد عارضت معرفته لها أو انه كان يشعر بالحرج بسبب ملاحظاته التي قالها عند السيارة. حتى الرجال في عمره، فإنهم يتأثرون بآراء أمهاتهم. وديك وجد نفسه في موقف صعب ليكمل صداقة كانت أمه ترفضها بشدة.

وجدت جين نفسها في حيرة كبيرة لأنها إذا فكرت بإقامة علاقة مع آدم فستجد نفسها في موقف صعب لأن آدم وأباه مكروهان جداً من قبل هيكتور دون أن تعرف سبب هذا الكره ولكنه بالتأكيد سبب مهم.

خلال فترة غياب آدم، شعرت جين بأن شيئاً ينقصها لم تشعر بهذا عندما كان آدم قريباً منها مع انه كان يقضي معظم وقته في لندن، ولم يكن هناك وقت محدد يعود فيه إلى البيت، ولكن احتمال رؤيته كان يعطيها شعوراً بالسعادة والانتعاش وهذان افتقدتهما اثناء غيابه.

وفي اليوم المحدد لوصول آدم إلى لندن، كانت جين تعمل في الساحة الخلفية عندما سمعت هيكتور يناديها لترد على الهاتف. فكرت ربما يكون آدم هو المتصل فأسرعت إلى الداخل لتجيب. لكنه كان ديك.

«هل أنت حرة هذه الليلة؟»

«نعم.»

«اتودين التنزه على الشاطىء؟»

«هذا رائع.»

«سأنتظرك في الساعة السادسة والنصف.»

كان ديك قد اخبر هيكتور عن سبب مخابرته فعندما انهت المخابرة بادرها العجوز قائلاً: «هل حددت موعداً معه؟»

«نعم... هذه الأمسية. آمل انك لن تنزعج؟»

«أنا سعيد عندما اراك سعيدة وتتمتعين بوقتك. فقد ضيعت ما يكفي من حياتك وانه لهراء ان تضيعي وقتاً اكثر. متعي نفسك واستغلي كل فرصة جميلة في هذه الحياة.»

اخذت جين تضحك عندها سألها: «وما هي النكتة؟»

«كنت افكر كيف ستكون ردة فعله إذا اخترت طعاماً باهظ الثمن. اعتقد أنه سيصاب بالحرج وستبدو على وجهه علامات الخيبة والخزي.»

«حاولي ذلك وسترين ماذا سيحصل. إذا كان بخيلاً الآن فلن يكون ابداً كريماً في ما بعد. هذا مؤكد.»

«نحن صديقان غير مرتبطين ولدينا اشياء مشتركة. فمعظم الوقت نتكلم عن المزادات العلنية والآثار القديمة ولا نناقش مسائل شخصية.»

«أنا مسرور لسماع هذا.»

وبأقل من نصف ساعة بعد اتصال ديك، عاد هيكتور وناداها للمرة الثانية لترد على الهاتف.

«فتاة من لندن ولم اسمع اسمها بوضوح.»

أيعقل أن تكون تلك الفتاة في الشركة التي كانت تعمل

فيها؟ فكرت جين. أو قد تكون واحدة من النساء اللواتي عشن في منزل السيدة تشتستر؟

أخذت السماعة منه وقالت: «الآنسة تونتون تتكلم.»

«مساء الخير آنسة تونتون. السيد فونتني يرغب بالتحدث معك، انتظري لحظة من فضلك.»

لحسن حظها اختار هيكتور هذه اللحظة لينهض عن كرسيه بجانب طاولة الهاتف وقال لجين:

«اجلسي فأنا ذاهب إلى المطبخ.»

جلست جين على الكرسي الهزاز وبدأ قلبها يخفق بسرعة عندما ذكرت الفتاة اسم آدم. والآن وهي تنتظر لسماع صوته وجدت صعوبة بالتنفس.

«مرحبا، جين كيف حالك؟»

«أنا... أنا بخير. كيف حالك؟ هل كانت رحلتك موفقة؟»

«نعم. لكنني مسرور بعودتي. وليس هناك أمر ضروري في العمل، لذا سآخذ يومي إجازة وسأكون في البيت في الساعة السادسة على أبعد حد. هل تتناولين العشاء معي؟»

«اخشى انني لا استطيع. سأمضي السهرة في الخارج هذه الليلة.»

«وماذا عن الغد إذاً.»

«لا اعتقد إنه بإمكاني ترك هيكتور وحيداً. لأمسيتين متتاليتين. هو... ربما لن يكون لديه وقت اطول.»

«افهم ذلك. ماذا عن بقية الأسبوع؟ هل تناسبك ليلة الجمعة؟»

«ليلة الجمعة مناسبة. أنا متشوقة لسماع اخبار رحلتك.»

«إذاً إلى يوم الجمعة.» دون أن يشرح اين سيلتقيا أو في أي وقت، أغلق آدم سماعة الهاتف.

عندما عاد هيكتور لم يسألها عن الاتصال لأنه اصيب بنوبة سريعة من نوباته. بدا مريضاً جداً وهو يمشي باتجاه السرير مما جعل جين تتصل بالدكتور بالرغم من معارضته.

في الاسبوع التالي تحسنت صحة هيكتور.

اخبر الدكتور جين: «ان بنية جسمه كبنية الثور. اعتقد انه من الأفضل أن ادخله المستشفى للمعالجة.»

«آمل أن لا يكون ذلك ضرورياً. فهو يفضل الموت هنا في بيته.»

سألها الدكتور بارتياب: «هل بإمكانك تحمل هذا؟»

«لقد غير حياتي. استطيع تحمل أي شيء من أجله.»

ضرب الدكتور على كتفها ضربات خفيفة وقال:

«انت فتاة طيبة. لا يوجد الكثير من الفتيات اللواتي في سنك يرغبن بإزعاج انفسهن بالاعتناء برجل عجوز مريض.»

«ان هذا الأمر ليس صعباً بالنسبة لي.»

أجابها بجفاف: «لقد استطعت التفاهم معه وقد جعلت منه انساناً مختلفاً فلم يعد فظاً مع الآخرين.»

كانت قد قامت بإلغاء موعدها مع ديك ذلك المساء بعد أن اخبرته عن تدهور صحة هيكتور، فكان يتصل بها كل ليلة للاطمئنان على صحته. وعندما سمع ان صحة هيكتور قد تحسنت اراد أن يحدد موعداً جديداً معها. لكن جين اعتذرت.

في يوم الخميس، استلمت جين رسالة من آدم مكتوبة على

بطاقة ومغلفة بظرف مصنوع من ورق رقيق. كان عنوانه في لندن مدّون على البطاقة وطبع على أعلى الظرف.

وتحت العنوان. كان قد كتب الرسالة مستعملاً حبر سائل أزرق مما جعل الخط جميلاً ومميزاً:

«اعتقد بأنك ترغبين بزيارة بيتنا وبيت العاب أمي. هل الساعة السابعة مساء يناسبك؟ اعلميني أو اعلمي أبي إذا كان الوقت لا يناسبك. وأنا متشوق لرؤيتك. آدم.»

كانت جين تملك صندوقاً يحتوي على معظم ممتلكاتها الثمينة وضعت داخل الصندوق محرمة ورقية كان نيكولاس قد اعطاها اياها عندما كانا يتناولان وجبة سريعة كتب عليها «أنت احلى فتاة في العالم. احبك.»

كانت قد احتفظت بها وترغب في الاحتفاظ بها دائماً لأنها كانت أول رسالة حب ترسل إليها مع أنها لم تكن رسالة بمعنى الكلمة ولكن المهم المضمون.

أخذت تعيد قراءة رسالة آدم وتتفحص طريقة الكتابة المرتبة والأحرف الكبيرة الواضحة، وكان قد وقع اسمه بكل وضوح عكس مديرها الذي كان يكتب بخربشة من الصعب قراءة خطه. سوف تحتفظ بهذه البطاقة لسنوات طويلة قادمة في صندوقها الثمين.

لكن احساساً بالارتباك تملكها لأنها تصورت نفسها بعد سنة من الآن في وضع لا يحتمل من الغباء والألم ولن يكون الأمر شبيهاً بعلاقة حب طويلة عابرة بل سيكون الأمر اكثر ايلاماً من علاقة الحب الأولى.

تأملت جين الثياب التي سترتديها عند زيارتها إلى «مانور»

لو كان الفصل شتاءً أو خريفاً لكان الاختيار اسهل لأن معظم الملابس في خزانة السيدة تشتستر أو على الأقل تلك الملابس التي لا زالت جيدة للارتداء كان معظمها يناسب هذين الفصلين.

وبعد تفكير عميق قررت أن ترتدي الثوب نفسه الذي ارتدته في حفلة ديك.

في صباح نهار الجمعة، قادت جين السيارة إلى اقرب صالون في البلدة لتقص شعرها، كانت السيدة روسامند فارنهام قد اخبرتها عنه.

اشترت جين رداء شفافاً واحمر شفاه جديد ومجموعة ادوات تجميلية واشترت ايضاً زجاجة عطر رائعة باهظة الثمن مقارنة مع سعر المساحيق التجميلية.

افترض هيكتور انها سوف تقضي الأمسية مع ديك. شعرت بالذنب لأنها لم تكن صريحة معه، لكنه إذا عرف الحقيقة فسيثور مما سيؤثر على صحته.

وعندما كانت تخرج في المساء اعتادت ان تترك رقم الهاتف في مكان تواجدها للطوارىء. وكان هيكتور يرى ذلك اهتماماً لا لزوم له وغير ضروري ولم ينظر ابداً إلى الرقم الذي تتركه على الوسادة. تمنت جين أنه في حال لاحظ رقم الهاتف ان لا يعتبرها واحدة من اعدائه اللدودين. لكن رغم ذلك فإنها لا تستطيع أن تغادر دون أن تترك رقم الهاتف لأن في ذلك خطورة ومغامرة كبيرتين خصوصاً وان حالته في تدهور مستمر.

علق قائلاً وهي تستعد للمغادرة: «تبدين جميلة جداً يا عزيزتي، فمن النادر أن تجدي نساء انيقات في هذه الأيام. فلا

بد أن السيدة العجوز التي عشت عندها لديها ذوق رائع. ياه، يا لي من ثرثار، أي فتاة تبدو في جمالك هذه الليلة تستطيع ان توقع أي رجل في شباكها ويصبح خاتماً في اصبعها.»

ضحكت جين على ملاحظته الظريفة: «اريد أن اصدقك يا هيكتور. في الحقيقة، ان هذا الثوب قديم الطراز ولست على معرفة بالموضة. لقد قمت بتصفح مجلة الأزياء اثناء وجودي عند المزين، لكن الثياب المعروضة كانت مرتفعة الثمن جداً وغير عملية بالنسبة لامرأة عادية مثلي.»

وبينما كانت تقبله مودعة علق قائلاً: «رائحتك ذكية أيضاً. انه ليس بعطر جديد، أليس كذلك؟ اظن أنه عطر جي ريفنز؟ لطالما احببت هذا العطر!»

«لا، انه عطر بالوما. قدمته لي مندوبة مبيعات التجميل هذا الصباح، وهي عبارة عن زجاجة صغيرة جداً للدعاية. لقد سميّ كذلك نسبة إلى ابنة الرسام الشهير بالوما بيكاسو.»

«هذا أمر آخر... أنت تجيدين التبرج... ولا تفرطين باستعمال الماكياج مثل بعض النساء اللواتي قابلتهن في حياتي. حان وقت ذهابك. تمتعي بوقتك. إذا طلبك للزواج لا تقولي نعم بل قولي ربما. ليس هناك أي ضرر من أن تدعيهم ينتظرون قليلاً.»

وفي الطريق إلى القصر، تساءلت جين إذا كان ديك سيغضب إذا رآها جالسة مع شخص آخر.

راودها شعور بأن نسبة طلب ديك للزواج منها تفوق نسبة أن يطلبها آدم للزواج. ولكن حتى لو طلب منها ذلك، فإنه سيعيد التفكير إذا عرف حقيقتها، وربما من العدل أن تخبره الحقيقة في الاسبوع المقبل.

هل من الصواب ان تستمر برؤيته؟ ماذا سينصحها العم المريض؟

في الوقت الذي وصلت فيه إلى بوابة القصر، تذكرت نصيحة شخص اعطاها إياها مرة وتقول هذه النصيحة «بأن ليس هناك سبباً يجعلك لا تتمتعين بعلاقة صداقة مع اكثر من شخص ولكن إذا كان هذا الشخص يكن لك شعوراً اعمق فمن غير العدل ان تشجعيه إلا إذا تبادلتما المشاعر نفسها. اما الرجل الذي يهتم بك مع نسبة ضئيلة من جدية علاقته معك فأنت تجازفين بالغوص في صراع في رؤيته او عدم الاستمرار في رؤيته، وهكذا من الأفضل تجنبهم بالرغم من جاذبيتهم والا اصبحت من النساء العابثات.»

ولكن ها أنا مثل كثير من النساء اللواتي ظنّ بأنهن سيكنّ شاذات عن القاعدة، فكرت جين وهو تقود السيارة نحو المنزل الذي سيكون يوماً ما ملكاً لآدم.

كان البيت بعيداً عن الطريق العام يعود تاريخ بنائه إلى سنة ١٧٠٠ ألف وسبعماية. كان سطحه مصنوعاً من القرميد وقد بني خصيصاً بطريقة تمنع الرياح والعواصف من التأثير عليه فتحول لون قرميده الأحمر إلى لون وردي جميل. كان البيت يتألف من أربعة طوابق. على جانبي الباب الرئيسي كان يوجد ثلاث نوافذ كبيرة اظهرت بوضوح الستائر المنسدلة بجمال. وفوقها كانت هناك سبع نوافذ اصغر في الحجم، تعلوهم نافذة صغيرة للعلية. وكان هناك ايضاً طابق سفلي.

لا بد أن آدم كان في انتظارها لأنها عندما اوقفت السيارة امام المنزل خرج بسرعة لاستقبالها.

«مرحبا يا جين. تبدين بصحة رائعة.»

ابتسمت وهي تقول: «شكراً لك.»

«رائحتك زكية. هذا عطر بالوما، أليس كذلك؟»

«نعم، لا بد ان لديك حاسة شم جيدة بالنسبة للعطور.»

«ربما. الفضل يعود إلى أمي التي كانت مولعة بالروائح الجميلة، وعندما كنت صغيراً كانت تجعلني اغلق عيني ومن ثم تقوم بوضع قنينة عطر تحت أنفي فكان عليّ أن أحزر نوع العطر. كانت معتادة على لبس عقد يفوح منه عطر يدعى آربيج. وهذا النوع من العطر رائجاً في لندن وخاصة بين النساء اللواتي من عمر أمي. ولكنك لم تتعطري بهذا العطر يوم كنا في أنابلز... أو اثناء العشاء عند روز.»

تذكرت لقاءهما تلك الليلة. شعرت بالسعادة تكتنفها بينما كانا يتوجهان باتجاه البيت:

«أنا عادة لا اضع عطراً في كثير من المناسبات.»

«كثير من النساء لا يخرجن إلا بعد أن يتعطرن وبكمية كبيرة.» عندما وصلا إلى اعلى الدرجات اشار إلى النوافذ المغلقة بالمصاريع «كان هذا الطابق يحتوي على مطابخ وحجرات لغسل الاطباق والآنيات ولكن الآن تحول إلى غرف للتخزين. انه يعتبر طابقاً ارضياً بالرغم من انه مرتفع عدة اقدام عن الأرض. لكنه مفروش بأسلوب مرتب مما يجعله بيتاً خاصاً صالحاً للسكن، ولكن كل شيء للبيع. كان والديّ يعيشان في الطابق الأول حيث السقف ليس عالٍ كباقي الطوابق وكان من السهل تدفئته. اترغبين بإلقاء نظرة على المكان اولاً.»

«اجل. ارغب بذلك كثيراً.»

قال آدم وهما يدخلان القاعة الواسعة في طريقهما إلى الطوابق العليا: «عندما كانت أمي حية، كانت الرائحة الذكية تملأ المكان. كان لديها موهبة في الاهتمام بالزهور والآن هناك شخص واحد يهتم بالأزهار مرة في الاسبوع. هل تهتمين بالأزهار؟»

«احب الأزهار ولكنني لم اهتم قط بحديقة كبيرة. في لندن، كان عندي قليل من الأزهار فوق المدفأة. اوه... انها غرفة رائعة!»

كان قد فتح باب قاعة الاستقبال والآن تستطيع أن ترى تلك الستائر من الداخل التي كانت من الحرير الأحمر مع شراشيب رقيقة عند الأطراف.

كانت القاعة من اجمل الغرف التي رأتها عيناها إذ برز جمالها من طريقة فرشها ومن طريقة توزيع الأثاث. وقد اضافت اللمسات الجميلة جمالاً إلى الغرفة كترك كتاب مفتوح على حافة الكرسي الهزاز ووضع سلة من الصوف وقطعة تطريز على طرف الطاولة.

«كم أنت محظوظ لأن تترعرع وسط كل هذا، للأسف انه معروض للبيع.»

«نعم. بالرغم من ان هناك عوائق. كل هذه النوافذ يجب أن تغلق بمصاريع وتركب لها أجهزة انذار. عندما حضر والديّ إلى هنا أول مرة لم تكن أي من هذه التدابير ضرورية. ولكن اليوم يوجد هناك لصوص محترفون لا يلزمهم العنف للدخول إلى المكان.»

نظر إليها ثم أضاف: «لدي خبرة اكثر بهذا المجال أكثر من والدي. أعني في مجال التعامل مع اللصوص، مثل ذلك

اللص الذي اقتحم المكان في الليلة التي تقابلنا فيها ولولا انني كنت مضطراً للمغادرة تلك الليلة...»

لم يكمل جملته، لمعت عيناه بوميض غريب فأشاحت بسرعة نظرها عنه وقالت بسرعة:

«اخبرني عن هذه الطاولة. لم أرَ واحدة في حياتي مثلها.»

«انها طاولة روسية... قام بتصميمها مهندس معماري. إذا حملت هذا الابريق من قاعدته وليس من يده فسأريك كيف يعمل.»

وبينما كانت تحمل إبريقاً كبيراً اخذ يشرح لها تقنية عمل جهاز الانذار الذي ارتفع إلى اعلى الطاولة إلى علو اللوح الخشبي.

ذكرتها هذه الطاولة بمجموعة أمها من المزخرفات الروسية وأيضاً ذكرها بزعم هيكتور بأن عائلة فونتني تصرفوا بسوء بشرقتهم لتحفته الثمينة. ربما هذه الأمسية ستكون الفرصة المناسبة لسماع جانبهم من هذه القصة.

«تعالي وألقي نظرة على غرفة الطعام وبعدها سنصعد ونتناول شراباً.» ثم ارشدها إلى القاعة.

كان يرتدي بزة قاتمة اللون دون جاكيت. كان قد رفع كمّي القميص حتى المرفق، وتدلت حول ياقة قميصه ربطة عنق انيقة.

كانت تشعر بالارتياح لأنه بعد دقائق قليلة سينضم اليهما الكولونيل فونتني.

امتدت في غرفة الطعام طاولة طويلة كانت تستخدم لحفلات العشاء الرسمية وضع فوقها الشمعدان الفضي

بعناية. لمعت اطراف الطاولة الذهبية وحواشي آنية العشاء المطعمة بالزمرد الأخضر تحت اشعة الشمس.

كانت جوانب الطاولات تحمل تحفاً من البورسلين المرسومة باليد. بينما كان آدم يخبرها عن هذه الأشياء انتبهت إلى ان عينيه كانتا مركزتين معظم الوقت عليها.

في الطابق الأول كان يقيم والداه.

«هذه هي غرفة الجلوس الواقعة في الجهة الجنوبية الغربية وتدخلها الشمس طيلة النهار.» اشار إلى غرفة كبيرة مطلية باللون الخوخي الخفيف ومليئة بالكتب والرسومات الصغيرة لحيوانات مختلفة مثل الكلاب وحيوانات اخرى.

سألها: «ماذا تحبين أن تشربي؟» كانت تنظر حولها وهي مندهشة مع عدم رؤية والده هنا. لا بد انه لايزال يبدل ثيابه. اجابت جين: «عصير الأناناس، إذا سمحت؟»

«نعم.» تناول زجاجة من داخل براد صغير، ثم ملأ لها كوباً.

سألته وهو يناولها الكوب: «هل هذا الكوب نادر. يبدو أن له قيمة كبيرة؟»

«محتمل. لكن لا تجعلي هذا الأمر يقلقك. ابي يعتقد أن الشراب له مذاق خاص عندما يشرب في اكواب جيدة. ومعظم الأشياء التي نملكها اشترياها والديّ عندما بدآ عملهما بتجارة الآثارات والتحف النفيسة. على أية حال فانه اصيب بخيبة امل لعدم استطاعته الانضمام الينا، فقد حدث أمر طارىء ولا يستطيع ان يتخلف عنه، لذا سنتناول العشاء بمفردنا.»

ثم أضاف قائلاً: «آمل الا تنزعجي بوجودك معي على الانفراد.»

شعرت بالقلق ولكن كيف ستقول له هذا، فتمضية سهرة طويلة مع آدم بعث في جسمها اضطراباً ممزوجاً بالبهجة والخوف من شر مرتقب.

تذكرت الليلة الأولى التي قابلته فيها لأول مرة وتذكرت تعليق أنيتا اللاذع:

«آمل أنك لا تعنين ما تقولين فربما توقعين نفسك في المشاكل.»

الفصل السابع

«كنت متشوقة لمقابلة والدك. هل تسمح لي بإلقاء نظرة إلى هذه الأشياء المهمة؟» سألت وهي تشير إلى الجدران والطاولات المليئة بالميداليات التذكارية التي كانت حصيلة عمر طويل.

«بالتأكيد. سأتركك تستعرضين السلع المعروضة للبيع بينما اذهب واجهز العشاء.»

«هل هناك أي شيء استطيع القيام به للمساعدة؟»

هز رأسه: «ليس هناك أية ضرورة. عليّ فقط تسخين الطعام في الفرن. سأعود خلال بضع دقائق.»

عندما اختفى خلف الباب، اخذت جين تتجول في الغرفة واخذت ترشف رشفات قليلة من كوبها. كانت هناك زجاجات عطر مختلفة وأشياء أخرى عرضت على الطاولة، قد لا تكون ملكاً لعائلة آدم.

يا لها من حياة مريحة تعيشها عائلة فونتني.

يا لها من حياة سعيدة. لا بد أن عائلة فونتني قد اختبرتها، فقد عاشوا في بيت قديم رائع، تشاطروا المحبة والعاطفة، راقبا ولدهما آدم يترعرع امام أعينهما لكي يصبح في المستقبل وريثاً مهماً لكل هذه الممتلكات. ولكن لابد انهما قد عانا أيضاً الحزن الشديد عندما توفيت السيدة فونتني قبل الأوان بسبب مرض مفاجيء.

لم تستطع جين إلا ان تتساءل إذا كان آدم على علم بغياب

www.elromancia.com

والده عن الدعوة قبل الآن. ولكن، حتى لو عرف ذلك يبدو ان فكرة الاغواء غير واردة بما أنه غير متأكد من الوقت الذي سيعود به الكولونيل فونتني. ربما كان الموعد مهماً فعلاً ولا يمكن أن يتخلفه، قد يكون لقاء عمل أو أي شيء آخر مهم. ومن المحتمل أنه قد يكون على موعد طارىء مع لجان محلية. ولكن الشيء الأكيدة منه ان معظم الاشخاص في عمره لا يسهرون خارج البيت حتى ساعات متأخرة.

تابعت جين استعراض السلع المعروضة للبيع حتى ظهر آدم مجدداً وسألها مندهشاً: «ألم يعجبك الشراب؟»

«انه لذيذ، لكنني أضعت الوقت في النظر إلى كل هذه الأشياء. ستصحبني لأرى مدينة العاب امك.»

«انها في الغرفة التي كانت في السابق غرفة خياطة في نهاية الطرف الآخر من الممر.» اعاد ملء كوبه واضاف: «سنلقي نظرة إليها بعد تناولنا العشاء.»

كلامه بعث الارتياح في داخل جين، وبدأت تشعر بالطمأنينة.

حدق آدم في ساعته وقال: «وجبتنا اصبحت جاهزة. لنصعد، هلا فعلنا؟»

تساءلت بحيرة: «فوق؟»

«إلى العلية... وهو جزء من البيت. قبل مرض أمي كانت تقوم باستقبال الضيوف هنا. وبمرور السنوات اصبح لدينا اصدقاء من التجار الذين يعملون عبر البحار. وقد اعطيناهم غرف نوم في هذا الطابق واتخذت لنفسي غرفة من غرف العلية، وبقية الغرف كانت لتخزين الصناديق. وعندما كبرت جعلتني هذه الغرفة أشعر بأن لدي مسكني الخاص حيث

استطيع التصرف بحرية مع اصدقائي، وبهذا لا استطيع أن اسبب أي ازعاج لعائلتي إذا جئت إلى البيت في ساعات متأخرة، لأن العلية لها درج خاص.»

«فهمت. كم ذلك مناسباً.»

لكن هذا لم يلغِ شكوكها. من الواضح انها لا تستطيع ان تعتمد على عودة الكولونيل فونتني ليضع حداً لخطط آدم لهذه الليلة.

غادرا الغرفة التي اصبحت غرفة جلوس والده بعدما كانت مصدر خطر في أيام عزوبيته. تساءلت كم عدد الفتيات اللواتي شعرن بالسعادة في هذا الطابق العلوي.

فتح لها باباً عند طرف الممر وارشدها إلى فسحة صغيرة بين مجموعتين ضيقتين متواصلتين من درجات السلم. تقدمها صعوداً على الدرج عندها تذكرت جين ما اخبرتها إياه السيدة تشتستر. انه في ايامها كان الرجل المهذب يرتقي الدرجات قبل المرأة صعوداً أو ينزل قبلها عند المنحدرات الخطرة.

التفت إليها. فرأى شبه ابتسامة تعلو شفتيه وبادرها قائلاً: «في الأيام الماضية، كان كل هذا مفروشاً بسجاد رخيص وقذر ليمنع وصول صوت الخادمات وهن يتنقلن في المكان، ولكن حتى قبل أن افرش الأرض بهذا البساط، كان الدرج عملياً ومعزولاً عن باقي الغرف. والأبواب الخلفية في هذا البيت تعزل الصوت بشكل جيد. اتودين القيام بجولة سريعة في المكان قبل أن نأكل؟»

«نعم، كثيراً.»

«كانت غرفة الجلوس تستعمل في الماضي غرفة نوم

للخدم لذا فهي أكبر من معظم غرف العلية، اما غرفتي فكانت تستعمل كغرفة نوم لمدبرة المنزل بالقرب من الدرج.»

فتح لها باباً آخر ولولا وجود سريرين فيها لما عرفت انها غرفة نوم، ولم تكن تتوقعها أن تكون بهذا الشكل.

قال آدم وهو يجوب الغرفة بتمهل ضارباً ضربات على هيكل السرير الحديدي: «كان هذا السرير تستعمله مدبرة المنزل واتوقع انه كان لديها فرشة مصنوعة من ريش، لكنني افضل الفرشات برفاصات أيعجبك هذا اللحاف؟»

أجابت جين: «كثيراً.» ومشت باتجاه السرير وأخذت تتلمس اللحاف اللامع.

«انه صناعة اميركية، اشتراه والديّ عندما كانا في زيارة لفرجينيا.» ثم أشار إلى مجموعة رسومات للسفن البحرية المعلقة على الحائط خلف السرير وقال: «بدأت بشراء رسومات للسفن عندما بلغت العاشرة من عمري. هذه الهواية لم تكلفني الكثير من المال وقتئذ.»

وفجأة اقترب منها وقال:

«لناكل الآن. ستشاهدين البقية لاحقاً.»

لم يكن سريره كما توقعت، ولا غرفة الطعام أيضاً. فلم يكن هناك اضواء خفيفة وموسيقى هادئة، بل كانت غرفة الطعام عبارة عن حافة صغيرة فرنسية مع كراسي خشبية وبعض المناديل القطنية على الطاولة وضوء مشع يسطع إلى مستوى منخفض، تاركاً وجهيهما في الظل ولكنه ساطع ملتمع فوق الطاولة.

قال آدم وهو يسحب لها كرسي: «ان مهارتي في الطبخ

محدودة ومعظم الأطعمة التي اجيد تحضيرها هي الستيك والكباب والهمبرغر والمعكرونة، اليس هذا الطعام يناسب الفتيات. ولوجبة اقل دسماً اعتمد على ماركس وسباركس. سوف نبدأ بتناول فطائر اللحم. اعتقد انها لذيذة جداً.»

بقيا جالسين إلى الطاولة لمدة ساعة، ومعظم الوقت كانت جين تشعر بالراحة.

عندما انتهيا من أكل الحلو المثلج اللذيذ مع قليل من الشراب المحلى والمزين بقليل من الشوكولا، اقترح آدم أن يشربا القهوة في غرفة الجلوس.

سألته: «ألا استطيع مساعدتك بغسل الاطباق؟»

«بصرف النظر عن الاطباق الملطخة بالحلوى، فالاطباق الآن داخل الجلاية الكهربائية. كوني أعزب فهذا لا يعني انني لا اهتم بغسل الاطباق وأيضاً لا اعيش بتناول بقايا الطعام.»

عندما اضاء النور الرئيسي للغرفة استطاعت ان ترى المكان بوضوح واستطاعت أن تلاحظ نظافة المطبخ والعناية في طريقة ترتيبه كان شبيهاً بمطبخها.

«ولكن، أليس لديك خادمة؟»

«فقط واحدة تعمل وقتاً جزئياً. تقوم بتنظيف البيت ومن ثم تأتي إلى هنا وتلقي نظرة سريعة على المكان، فقط مرة في الاسبوع. لقد تذكرت، هل فكرت بالاقتراح الذي عرضته عليك عندما تقابلنا في المرة الأخيرة.»

«نعم. لو كان والدك حاضراً لكنت شرحت له سبب محاولتي لاتباع خطى هيكتور.»

«ماذا لو اتيت وأبحرت معي نهار الأحد وبعدها نتناول الشاي هنا مع والدي؟»

«لكنني لا اعلم كيف أبحر.»

«ليس بالضرورة ان تعرفي. سنكون برفقة صديق لي وصديقته وفي ما بعد سأقترض زورقاً صغيراً وأعلمك مبادىء الإبحار إذا اعجبتك الفكرة.»

«ربما عليّ ان اكتشف اولاً أي نوع من البحارة أنا. على أية حال فإن كل مخططاتي تتعلق بصحة هيكتور وإذا كان مناسباً أن اتركه وحيداً.»

«حسناً، لنترك الأمور كما هي... إذا كان في صحة جيدة وكان الطقس جميلاً فسأصطحبك من أمام مكتب البريد في الساعة العاشرة.»

«جيد. إني اترقب هذا اللقاء.»

وكان من أكثر المعالم روعة في غرفة الجلوس وجود حصانين لامعين يثبان على قوائمها الخلفية. في الماضي كانت أسرة الخدم تملأ الغرفة ولكن الآن فرشت بطريقة مريحة من أجل القراءة والاستماع إلى الموسيقى. كانت هناك مجموعة من التحف التي قام بشرائها في سن المراهقة.

«عندما قمت بشراء هذه التحف كانت مصنفة كسلع مصنوعة باليد ولم أهتم، اما اليوم فأصبح الأمر أكثر جدية بالنسبة لتجار قدامى كأبي.» توقف قليلاً ثم قال مبتسماً: «أنا متأكد من انك لا تهتمين بالراديو القديم والهواتف المستعملة ايام الحرب العظمى. افترض انه سيكون امراً مبالغاً فيه إذا افترضت بأنك تلعبين البلياردو؟»

«أخشى أنني لا اعرف. ولماذا تسأل؟»

«لأن افضل شيء اشتريته عندما كنت صبياً في المدرسة هو طاولة بلياردو. كان قد أعلن عنها في صحيفة محلية من

قبل زوجة مزارع ارادت تغيير اثاث منزلها القديم بأثاث حديث. وطلبت ثمانين جنيهاً ثمناً لها، فكان عليّ أن ابيع بعضاً من مجموعتي لاعطيها المال. على أية حال، إذا لم يكن بإمكانك اللعب فأنا متأكد من اننا نستطيع أن نجد شيئاً آخر نقوم به.»

كان آدم يقف بالقرب من طاولة، استدار ونظر إليها نظرة تعذيب مما جعل قلب جين يخفق باندفاع.

لم تجد شيئاً تقوله. في الحقيقة كان من الصعب ان تتنفس.

تقدم آدم بضع خطوات وادار موسيقى هادئة وبعدها اتجه ناحيتها. اقترح عليها وهو يبتسم: «بإمكاننا الرقص.»

وفي اللحظة التالية، بدآ بالرقص.

«كم هو غريب أن يتغير انطباع الشخص عن الناس. في أول مرة رقصنا فيها في أنابلز بدوت بعيدة ومضطربة أكثر مما تبدين لي الآن.»

كانا يتحركان على وقع الموسيقى الهادئة كما فعلا تلك الليلة في المطعم. تذكرت تفاصيل تلك الليلة.

لم تشأ جين أن تتحدث عن نفسها. سألت عندما سمعت لهجة اجنبية من الاسطوانة: «من هذا الذي يغني؟»

«انه شريط مسجل من مجموعة والديّ الكبيرة. ليس لدي أي شريط رقص هنا، لذا استعرت بعض اشرطتهما المسجلة. المغني هو تشارلز ازنافور وهو يغني اغنية عاطفية. كانت أمي مغرمة به كثيراً. فكان والدي يداعبها بمناداته بتشارلز اباتوار، أي تشارلز المسلخ.»

تساءلت جين. هل كان يحاول أن يقنعها بأنها أول فتاة ترقص معه هنا؟

تمتمت قائلة: «توقعت ان يفضل اهلك الموسيقى الكلاسيكية.»

«انهما كذلك ولكن ليس دائماً. كان هناك وقت لهذا النوع من الموسيقى. هل صادف ان تمنيت يا جين بأن تدوم ليلة ما إلى الأبد؟»

كانت مسرورة لأنه ليس عليها أن تلتقي عيناها بعينيه لأن وجهها كان بمستوى كتفيه.

«نعم، مرة... منذ وقت طويل... عندما كنت اصغر من الآن بكثير.»

«فقط مرة واحدة؟»

أومأت برأسها: «وماذا عنك؟»

«أكثر من مرة. ولكن لم أتمن ذلك منذ وقت طويل. في الحقيقة منذ تلك الليلة في انابلز.»

رن جرس الهاتف.

«آسف. لقد نسيت أن احول خط الهاتف إلى آلة الرد.»

تركها آدم وذهب ليطفىء الموسيقى.

وبعد حوار موجز، استطاعت جين سماع قليل منه دون قصد. اعاد السماعة ثم توجه إلى طاولة القهوة التي كانت جاهزة للتقديم.

«قشدة لكن من دون سكر لك؟»

«لديك ذاكرة جيدة.»

قطب آدم حاجبيه وسأل: «ألا تتذكرين كيف اشرب قهوتي؟»

«سوداء؟» بدا ذلك وكأنه سؤال ولكنه في الحقيقة لم يكن تخميناً فهي تتذكر كل تفاصيل العشاء الأول الذي تناولاه مع بعضهما البعض.

«لنجلس هنا. هلا فعلنا؟» حمل الفنجانين إلى طاولة منخفضة ملأى بالكتب وقال: «اترغبين بتناول شراب؟ يوجد شراب مصنوع من عصير الكرز وشراب آخر يدعى آمارتو وهو مصنوع من اللوز.»

«لا أريد ذلك، شكراً لك.»

«الا تحبين الشراب المحلى؟»

«ليس تماماً. ولكن لا تدعني امنعك من شربه.»

«لا اشرب هذا النوع من الشراب في الغالب. هل نستمع إلى ازنافور من جديد؟»

«فكرة جيدة.»

ذهب ليدير الموسيقى وعاد ليجلس على الطرف الآخر من الأريكة تاركاً فسحة كفاصل بينهما.

سألت جين وهي تنظر إلى مجموعة الكتب على الطاولة امامهما: «لا بد انك تنفق الكثير من المال في شراء الكتب؟»

«اقضي معظم الوقت في القراءة. ولكن اجد متعتي الحقيقية في الابحار.»

وهمهمت: «م... م... م... هذه القهوة لذيذة.»

«أنت تحيرينني يا جين. أحياناً تبدين وكأنك منسجمة معي، وأحياناً أخرى تكونين مضطربة وأنت برفقتي، اليس كذلك؟ اعتقدت بأنني اعرف حركات الفتيات وافهم الرسالة. فبعضهن يقلن «إلى الأمام» وأخريات يقلن «تراجع» لكن معك احصل على رسالة مركبة ومحيرة.»

اعادت الفنجان إلى الطاولة ووضعت يديها على حضنها وأخذت تنظر إلى الأحصنة عند نهاية الغرفة.

«وانا أيضاً لا افهمك يا آدم. اعتقدت بأنني جئت إلى هنا لتناول العشاء معك ومع والدك وليس في جناحك الخاص. لو كنت قد اخبرتني نواياك لما جئت الليلة، ليس لأنك لا تعجبني أو لأنني لا أجد صحبتك ممتعة. لكن الآن...»

توقفت قليلاً واخذت تبحث عن الكلمات المناسبة لتشرح موقفها دون أن تكون فظة.

«إنك لا تريدين ان نتمادى أكثر؟ هل هذا ما تحاولين قوله؟»

«في الحقيقة... نعم.»

ساد الهدوء المكان. توقفت الموسيقى قليلاً ثم بدأ ازنافور يغني باللغة الفرنسية.

حمل فنجان القهوة تاركاً الصحن على الطاولة.

«جيد، كلانا الآن يعرف أين هو. والآن، لِمَ لا ترتاحين؟» مد ساقيه الطويلتين تحت الطاولة وجلس بارتياح أكثر وبدأ يشرب قهوته برشفات متمهلة.

ربما يعلم أين هو ولكن جين ما زالت غير متأكدة أين هي. موافقته كانت ضمنية وغير واضحة. قد يكون مخادعاً أو ربما اعتقد بأنها بحاجة إلى قليل من الاقتناع اللطيف. ربما معه حق.

«هذا الكتاب سيعجبك.» قال ذلك ثم وضع فنجانه على الطاولة والتقط موسوعة كبيرة عن الاثار القديمة وأضاف: «لا تعرفين ابداً متى يأتي مثل هذا الكتاب ويصبح في متناول يديك وخاصة في هذا المجال.»

فتحت جين الكتاب تستعرض صفحاته. رأت ثوباً صينياً وثوباً يابانياً من الحرير الأزرق محبوكين بخيوط ذهبية اللون.

سألها: «اترغبين باستعارته؟»

«احب ذلك، سأستفيد منه كثيراً.»

«أعير كتبي فقط للاشخاص الذين اثق بهم. أتريدين مزيداً من القهوة؟»

«نعم، من فضلك.»

تمنت لو وجدت جواباً أكثر دبلوماسياً لسؤاله بدل أن تجيبه بتلك الطريقة الفظة. راقبته وهو يتجه ناحية طاولة القهوة. كل الرجال وحتى الموثوق بهم قيل عنهم بأن لديهم غرور وخاصة في القضايا المتعلقة بالعواطف.

كانت المشكلة بأن الخبرة تنقصها ومعرفتها بطريقة التعامل مع الرجل قليلة. فقد عاشت قصة رومانسية في سن المراهقة وتلتها حياة بسيطة وبريئة. عاشت مستقيمة وهذا لم يحضرها لمواجهة رجل مثل آدم. هل كان جاداً بقوله انه لم يرتبط مع أية فتاة أخرى منذ الليلة التي قابلها فيها؟

شريط ازنافور كان لايزال يعمل عندما أنهيا شرب القهوة للمرة الثانية.

سألها وهو ينظر إليها بعينين ساخرتين: «اخبريني، هل تعريفك للصداقة لا يتضمن اللقاءات المستمرة؟»

شعرت جين بوجهها يتوهج من الاحمرار: «لا أمانع بذلك.»

«لم ألتق بفتاة هادئة مثلك.»

عبرا الغرفة في طريقهما إلى السلالم الخلفية.

ايعتبرها الآن انسانة تقليدية؟ ولكن من المؤكد ان تجاوبها معه اثبتت له بأنها ليست شخصاً بارد؟

كان الظلام قد حل منذ فترة طويلة عندما اصبحا في الخارج. كان القمر يشع بين غيوم صيفية ثابتة.

فتح آدم باب المقعد الأمامي ليضع الكتب التي اعارها اياها. وعندما استقام، امسك الباب ولكن ليس بطريقة تسمح لها بدخول السيارة.

قالت جين: «شكراً لك على هذه الأمسية الرائعة.»

رد آدم على شكرها بهزة من رأسه: «لست متأكداً إذا كان هذا الجانب الصحيح لحدودك. ولكنني سأعلم يوماً.»

ابتسمت له رغم سخريته. قبلت دعابته الساخرة بمرح:

«تصبح على خير يا آدم... وشكراً على الكتب.»

وعندما وضعت يدها على الباب لتفتحه أكثر، كان لايزال يمسك به. بادرها قائلاً: «احضري معك شيئاً ترفعين به شعرك نهار الأحد. تصبحين على خير.»

جلست امام المقود بالرغم من ان مفتاح السيارة كان في يدها وكانت اصابعها ترتجف إلى درجة انها لم تستطع ان تجد مكان المفتاح بسرعة.

قبل لحظات من إدارة المحرك، خيل لها بأنها تسمعه يضحك.

كانت اعصابها مضطربة عندما وصلت إلى البوابة وحولت اتجاه السيارة نحو الطريق.

وفي صباح اليوم التالي وبينما كانت تتسوق اتصل بها ديك.

اخبرها هيكتور: «يريد ديك منك أن تلقي نظرة على بيت سوف يقوم بشرائه. وهو يريد رأي امرأة في هذا المكان. سيأتي ويصطحبك معه الساعة الثانية.»

«عليّ أن أقوم ببعض الأمور في فترة بعد الظهر، لا بد أنك اخبرته انني سأتصل به عندما اعود؟»

«ليس هناك شيء لا تستطعين تأجيله، انه لرائع ان تتنزهي في الهواء الطلق. هناك مقهى في تلك المنطقة وهم يقومون بتحضير كعك لذيذ. بإمكانك ان تحضري لي بعض الحلوى، فأنا اشعر بضعف امام الحلوى.»

اقترحت جين عليه: «لِمَ لا تأتي معنا؟» لم تكن قد اخبرته بعد بأنها ستكون خارج المنزل معظم يوم الأحد.

هز هيكتور رأسه وأجاب: «لقد رأيت الكثير من المنازل الفارغة، ودائما كنت أكره المزادات. واتذكر عندما كنت قليل الخبرة. انني عندما اقوم بشراء منزل واقدم المبلغ نقداً، اقوم بترتيب المكان ثم لا يلبث اصحاب المنزل الاصليين أن يأخذوا أشياء كثيرة من ضمن الأشياء التي اشتريتها نظراً لعلاقاتهم الحميمة مع اشيائهم المباعة. لذلك فعندما تقومين بشراء شيء عن طريق المزادات، اعملي لائحة جرد قبل كل شيء ولا تدفعي حتى يتم انجاز العمل وحصولك على كل شيء.»

«أخشى أنه على حق.» وافق ديك عندما اخبرته جين هذه النصيحة بينما كانا يتجهان إلى البيت الذي كان عليها أن تلقي نظرة عليه.

«هناك اشخاص كثر يمكن أن يكونوا عديمي الضمير. والبيع بالتصفية وخاصة منزل صغير يساوي مجهوداً معقداً. هل لايزال لديك رغبة للاستمرار بالعمل مع ذلك الرجل؟»

«لست متأكدة.»

كانت جين لا تزال تحت تأثير ليلة أمس. عادة تغط في النوم عند الحادية عشرة ولكنها امس سمعت ساعة القرية تعلن منتصف الليل وكانت لا تزال مستيقظة.

وهذا الصباح ايقظها المنبه مما أوصلها إلى الحقيقة المرة، فقد كانت واقعة بعمق ومن دون أمل بحب رجل حتى لو كان إدعائه الحالي جدي، ربما سيغير رأيه عندما يصبح الأمر جدياً.

قال ديك: «يبدو صوتك حزيناً.»

«في الواقع لا... لكنني متعبة. لم أنم جيداً.» وحتى لا يلح في سؤاله، سألته: «هل قرأت المقالة في جريدة الصباح عن الاكتشاف الجديد لمخطوطات تيرنر وهو كتاب يشتمل على صور ادبية ووصفية، وجد في معرض لبيع السيارات.»

لم يكن قد قرأ الخبر فأراد أن يعلم التفاصيل. ذكر اكتشاف آخر لرسومات رسام عظيم في منتصف الثمانينات وقد سبب هذا الاكتشاف ثورة هائلة في عالم الفن في لندن.

ناقشا الاكتشافات الجديدة وتكلما عن الكنوز التي وجدت في اماكن غير متوقعة. استمرت المحادثة عن هذا الأمر لبقية الرحلة.

«يقولون ربما يكون هناك «فارمير» غير مكتشف في مكان ما في هذا الجزء من البلد، ويعود سبب ذلك لتجار أنغليا الشرقية مع هولندا في القرن السابع عشر.» قال ديك ذلك وهو يوقف السيارة خارج بوابة البيت الذي أراد شراءه.

كان البيت يعود تاريخ بنائه إلى عهد ادوار وقد بني عام الف وتسعمائة وخمسة وستين بأحدث المواد وباجتهاد مضاعف من الحرفيين. وقد بني لعائلة كبيرة من الطبقة

الوسطى. وبعدما ألقيا نظرة حول المنزل اعترف ديك بأنها لم تكن زيارته الأولى للمكان.

قال: «هناك فرص ربما لن تتكرر. يوجد شيء في هذا المنزل يروق لي. واريد شراءه لنفسي. اريد لي مكاناً ثابتاً... لكن قبل كل شيء أريدك أنت. هل تشاركينني هذا البيت يا جين؟ هل تتزوجينني؟»

بالرغم من اقتناع هيكتور من ان ديك كان يتودد إليها، فاجأها طلبه هذا. كان ديك أيضاً مندهشاً. بدا وكأنه قد نطق بكلماته بعفوية دون تحضير وكأنه لم يكن جاهزاً بعد ليطلب منها الزواج.

جاء جوابها ارتجالياً. «اوه ديك. لا استطيع... مستحيل.»

«مستحيل؟ لماذا؟ ظننت انك تحبينني؟»

«أحببتك؟... احببتك؟ أنت عزيز عليّ، ولكن...» ترددت للحظات ثم اخذت نفساً عميقاً قبل أن تقول: «هل لاحظت بأنك لا تعرف عني الا القليل؟»

«أعرف كل شيء أريد معرفته. أنت لطيفة مخلصة... صادقة... ومهذبة.»

«أحاول أن اكون مهذبة ولكنني لست صادقة. حياتي منذ تسع سنوات قائمة على الخداع.»

قال وهو يبتسم: «لا استطيع أن اصدق هذا. عمَّ تتكلمين؟»

الفصل الثامن

«أنا... آسفة لأنني أسبب لك هذه الصدمة يا ديك. أنا... حسناً، في الحقيقة عندي طفل... ابنة وأنا أم أرملة.»

وبينما كانت تتكلم بدا ديك متوتراً. ماذا يمكن تكون ردة فعله، لم تستطع ان تتبين ذلك. ان تعابير وجهه تظهر فقط بانه مندهش.

وبعد لحظات قليلة، تبدلت نظرة الدهشة لتحل محلها نظرة اهتمام: «يا صغيرتي. ماذا حدث؟ هل خسرت الطفلة؟»

ردت جين على سؤاله: «اوه... لا. انها على قيد الحياة وبصحة جيدة وقد اخذتها اختي لتعيش معها. اسمها آبل وستأتي قريباً لتعيش معي. هي لا تعلم انني امها بل تعتقد انني خالتها.

وعندما سمع ديك هذا قطب حاجبيه وقال: «اعتقد ان هذه غلطة، ومن الأفضل دائماً اخبار الأطفال بحقيقة الأمور. سيضطرون لاكتشاف هذه الحقيقة عاجلاً ام آجلاً وعندها ستزعجهم هذه الحقيقة اكثر بكثير في مالو كبروا وهم على علم بها. ما الذي جعلك تتخذين هذا القرار؟ هل كانت فكرة اختك؟»

«لم يكن القرار بهذا الشكل... كان فقط... لقد سارت الأمور هكذا. أنا اوافق انه ليس جيداً. لكني لا أستطيع أن أشرح لك الا إذا اخبرتك القصة كاملة. ولكن ربما لا تريد سماعها... الآن وأنت تعرف الحقيقة عني.»

«لا تكوني سخيفة. بالطبع أريد سماعها. وحقيقة ان

عندك طفلة لن تغير شعوري نحوك. ولماذا يتغير؟ لم تقولي شيئاً... انه فقط أمر محزن. وقعت في دوامة حيث آلاف الفتيات الجميلات يجدن أنفسهن متورطات فيها. لقد فهمت. ان والد الطفلة هو ذلك الرجل الذي اخبرتني عنه... الرجل الذي قتل وهو يتجنب امرأة تجر طفلاً في عربة.»

أومأت جين برأسها وقالت: «لو لم تقع هذه الحادثة لكنا الآن مع بعضنا... وحتى لو كنا زوجين مفلسين. لم يكن الأمر امراً عارضاً فقد احببنا بعضنا البعض حقاً، لكن والدي لم يشأ تصديق ذلك، واعتقد انني متهورة ولعوب فرمى بي الى الشارع. لو لم يكونا آليس وبيل موجودين، لا أعلم ماذا كنت فعلت.»

وبدا ديك مندهشاً هذه المرة اكثر من قبل لافشاء هذا السر وقال: «هل حقاً رمى بك إلى الشارع؟ ولكن هذا التصرف استبدادي؟»

«لا، ان والديّ كانا معلمين. لم يكونا محدودي العقل كجداي. وبالنسبة لعمتي فكان والديها قاسيين في تصرفاتهما بشكل غير معقول ولم يكن لديها الحرية بتاتاً إلى ان تزوجت. وبعدما توفيت امي بمرض وبائي في نيجيريا، اصبح والدي قاسياً اكثر وأكثر مثل أبيه وعندما عاد إلى انكلترا ليعيش معي ومع عمتي التي أصبحت أرملة أصبح ظالماً ومسيطراً. ولولا عمتي دي لما استطعت ان اخرج من المنزل. فتآمرنا ضده وهذا بالطبع خطأ. اني اعلم ذلك. ولكن الرجل الصارم كوالدي يجبر اولاده على عدم اطاعته. كان لا يعرف الضحك ابداً. لم يكن لديه حس المرح على الاطلاق.»

قال ديك: «حسناً، أنت مرحة، لا بد أنك حصلت على المرح في مكان ما.»

«ربما من عمتي دي. فكانت عظيمة بقول الطرائف... انها امرأة رائعة.»

«كيف كانت ردة فعلها عندما أخبرتها عن الطفلة؟»

«لم تعلم شيئاً عن هذا الموضوع وخانتني شجاعتي لأخبارها عندما مرضت وماتت. جاء موتها فجأة. وبالطبع كان هناك دور للفتيات اللواتي يعشن من دون حماية أهلهن، فيبقين هناك طيلة فترة الحمل.»

أمسك ديك يدها وغمرها بيده وقال: «كان لا بد ان يكون لك وضعاً أفضل وخاصة عندما خسرت الشاب الذي أحببت. أتخيل كم قاسيت.»

أخذت جين تداعب رباط حقيبة يدها وهي تتكلم. هدأت اعصابها ونظرت إليه فالتقت نظراتهما وعندما رأت اللطف والشفقة في نظراته شعرت بالدموع تملأ عينيها.

بالطبع كانت غبية، ومستهترة وامرأة غير مسؤولة. لم تكن تستطيع ان تتحدى هذه التهمة ولكنها دفعت ثمن غبائها مرات عدة اولاً بحزنها على نيكولاس وثانياً بحزنها على ابنتها آبل، حتى الآن وبعد مرور كل هذه السنوات، فقد سبب لها ذلك الماً لاذعاً يذكرها باليوم الذي وضعت ابنتها تحت رعاية اختها.

وعندما رآها ديك على وشك البكاء قال: «الذي تحتاجين اليه الآن هو تناول فنجان من الشاي. هناك مكان رائع في القرية لتناول الشاي. تعالي. يمكننا التحدث هناك.»

وكسائر مقاهي البلد، كان مقهى بلوبارن يقوم باعمال

افضل عندما يكون الطقس دافئاً. وفي الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر اصبح لديهما مكان شاغر ليجلسا. وبصرف النظر عن وجود ازواج متوسطي العمر كان هناك رجل ضعيف يتنقل بواسطة كرسي متحرك كان يصطحبه شخصان لتناول الشاي.

قال ديك: «لنجلس في الخارج.» واصطحب جين إلى الغرفة الرئيسية في حديقة صغيرة حيث صفت عدة طاولات.

عندما حضرت فتاة لتسأل عن طلباتهما، طلب ديك من دون ان يستشير جين عدداً من السندويتشات وبعض الكعك بالبندق وابريق شاي.

«انهم يحضرون سندويتشات لذيذة والخبز صنع بيتي، اما المحتويات فهي من الجبن وشرائح البندورة. وإذا لم يكن بمقدورك الانتظار! فيمكننا ان نتناول شيئاً آخر لو أحببت.»

ابتسمت جين وهزت رأسها. وحتى الآن وبعد ان عادت الى رشدها لم يكن لديها فكرة كيف تعالج طلبه للزواج. كان شعورها الأساسي شعوراً بالراحة لأنه عرف الآن حقيقة امرها.

قال ديك: «ستكون الحديقة مزدحمة بعد قليل. لقد سمعت ان ما يجعل هذا المكان هادئاً هو الحرمان من الكعك بالجبن وبعض الحلوى التي تأمر بهم صاحبة هذا المكان. لقد اخبرني احدهم ان كثيراً من المآكل الشهية التي تقدم في حفلات العشاء في هذا الجزء من المقاطعة اصله من هذا المكان.»

قالت جين: «أعتقد هيكتور اننا سنزور هذا المكان فطلب مني بعضاً من الحلوى. لا تدعني انسى عندما نذهب.»

قال ديك: «سآخذ أنا أيضاً بعضاً منها إلى تومي. لقد احب ان يرافقني هذا المساء لكني أردت ان نكون بمفردنا.»

وفي هذه الاثناء عادت النادلة تحمل ابريقاً من الشاي وقالت: «لن تتأخر السندويتشات الطازجة. هل أنت في اجازة؟»

«ان العمل يجعل العامل يتهرب منه.» وبقيت النادلة تتحدث اليهما إلى ان أطلت امرأة ذات شعر ابيض برأسها خارج الشرفة وقالت: «السندويتشات جاهزة يا هازل.»

وكانت السندويتشات لذيذة جداً كما وعد ديك بها وبدت جين وكأنها تتلذذ بها بالرغم من انها ليست جائعة.

عاد ديك وسأل جين: «إن ما يحيرني كيف لم تعلم طفلتك انك امها.»

قالت بحزن: «أنا أمها بيولوجيا فقط... آليس هي أمها الحقيقية. رعتها... اعطتها الحب والاهتمام... حضنتها وعلمتها وكرست حياتها لها. وكل ما فعلته انا هو اني انجبتها وساهمت بقدر قليل من المال ولم يكن ابداً مالا كافيا.»

«هل عند اختك اطفال غيرها؟»

«نعم. ثلاثة صبيان ان آليس أكبر مني بست سنوات. كان دائماً طموحها ان تتزوج وتؤلف اسرة كبيرة وبما ان التوأم كانا من الصبية تمنت ان يكون عندها فتاة وعندما انجبت الولد الثالث نصحها الدكتور ان لا تحاول مجدداً. وبما ان طفلتي فتاة قالت آليس انه من الأفضل ان تربي الفتاة هي بنفسها. كان بيل سعيداً ايضاً انه زوج رائع وأب... وربما متساهل جداً في بعض الاحيان. وآمل ان يقف إلى جانبي

في الحوار عندما اخبر آبل الحقيقة لأنه دائماً ينفذ ما تقوله آليس حتى ولو لم يوافق عليه.»

«لما لا تريد اختك ان تعرف الطفلة الحقيقة؟»

«لم تكن... عندما ناقشنا الأمر في البداية. وافقنا على ان تخبر آبل انني أمها حالما تستطيع ان تدرك ذلك. وفي ما بعد عندما فكرت ان آبل كبرت لتتفهم الموضوع بسهولة لم توافق أختي آليس على ذلك، وقالت ان الفرصة ليست مناسبة. وما تزال الفرصة غير مناسبة في نظرها ولا استطيع ان أخبر آبل أي شيء ما لم توافق أختي. وكيف استطيع؟»

وافق ديك على كلامها وقال: «يا له من وضع رهيب وكلما ارجيء الموضوع كلما زادت الصعوبة. من المؤكد ان اختك تفهم ذلك؟»

«انها تحب آبل ولا تريد ان تفقدها واعتقد انها تشعر لو عرفت آبل الحقيقة لربما اختارت ان تعيش معي. لم يكن في استطاعتي ان ادعها تعيش معي في لندن، إذ لم يكن لدي غرفة لها وكنت اعمل طوال النهار ولكن يختلف الأمر هنا، فالآن استطيع الاهتمام بها.»

«وانت تريدينها الآن؟ هذا هو اساس الموضوع؟ ترغبين في ان تعيش معك؟»

«كنت دائماً اريدها يا ديك. كان يجب ان لا ابعدها عني لكن الأمر كان مستحيلاً ان تبقى معي، ولكن كان علي ان اصارع في الحياة ليبقى رأسي مرفوعاً. وكان الأفضل لها ان تبقى مع آليس ولكني الآن لا اعتقد انها سعيدة. فالأولاد الثلاثة مزعجون وهي طفلة هادئة حالمة ولا تناسب تلك العائلة حقاً.»

«ربما لأن وضعك ما زال غير سليم وهذا ما يقلق اختك. فلو تزوجت... واهتم بكما رجل... ربما تشعر شعوراً مختلفاً.»

«ربما كانت... لكن ما هو المؤكد هو ردة فعل أمك. فهي لا تحبني يا ديك وربما ستكرهني أكثر عندما تخبرها الحقيقة.»

«وما الذي يعطيك هذه الفكرة؟»

«انها ليست فكرة. انها حقيقة. لقد عرفت ذلك في المرة الأولى التي تقابلنا فيها، إن النساء تشعرن بهذه الاحاسيس. وحسُنا متطور أكثر من حسكم. فنحن نلتقط هذه الاحاسيس التي يفتقدها الرجال. وربما توجد امرأة أخرى تعتقد والدتك انها مناسبة ومن نفس الموطن وليست امرأة دخيلة.»

«ان اختيار زوجة هو أمر يعود لي... وليس له علاقة بأمي.»

لكن جواب ديك كان اعترافاً صامتاً منه ان احساس جين كان صحيحاً، فالسيدة اوسبورن كانت تشك بأمر جين وابدت رأيها لابنها بصراحة.

قالت جين: «ان احساس امك صحيح وفي بعض الاحيان يكون احساس نابع من العقل، فالأهل المحبين لأولادهم يعملون الأفضل لهم وحتى لو كانوا راشدين. انها تعجبني لأنها امرأة حساسة. كيف كانت تتصرف مع زوجتك؟»

«كانتا مولعتين ببعضهما البعض... مثل السمن على العسل.»

«إذن، لقد فهمت الآن. لم تكن متمردة أو صعبة ويرتكز

شعورها نحوي بعمق وهي تعلم انك وحيد، ولا ترغب ان تراك تتسرع بزواج آخر ربما تندم عليه في ما بعد.»

«هل هذه طريقة ملتوية لتجعليني انقلب رأساً على عقب يا جين؟ هل تحاولين اخباري بانك تحبين صداقتي ولكن صداقة بعيدة عن تفكيري؟»

شعرت جين انها بدأت تتوهج خجلاً وقالت: «أنا... لم أفكر أبداً بذلك الموضوع.»

«حسناً، حاولي التفكير بالأمر، هلا فكرت؟ حاولي أن تتخيلي الأربعة أشخاص يعيشون مع بعضهم البعض في المنزل الذي اريتك اياه... أنت وأنا وتومي وآبل. لماذا سميتها آبل؟»

«لو كانت صبياً لكنت اسميتها نيكولاس... نيكولاس. لم اقرر حينها على اسم فتاة. لم أحب اسماء الفتيات وقبل بضع ساعات من ذهابي إلى المستشفى أحضرت آليس بعض التفاح وفكرت عندها ان هذا الاسم هو الاسم المناسب – آبل. فإن كل الأشخاص تقريباً يحبون التفاح ويسمون البنات عادة بأسماء الأزهار والأشهر والمجوهرات. كانت لي رفيقة في المدرسة تدعى خوخ. إذاً، لِمَ لا يكون اسمها آبل؟ هل تعتقد انه اسما سخيفاً؟»

«ليس بالضبط... اني متشوق لمقابلتها. متى ستأتي؟»

«في وقت ما خلال عطلة المدرسة... يتوقف هذا على صحة هيكتور. لقد اعتدت ان اقضي العطلة مع اختي وزوجها، ولكن هذه المرة مختلفة، سأدع آبل تبقى معي.»

قال ديك لها: «كنا نأمل أنا وسالي ان يكون عندنا طفلين: صبي وبنت ولو سارت الأمور كما يجب سأكون أب لثلاثة...

ابني... ابنتك وطفل لنا نحن الاثنين. سيكون الأمر رائعاً بالنسبة لك يا جين... يصبح لديك طفل ثانٍ. وكما تعلمين سترحبين به وستحبينه وتهتمين به بنفسك وسيعوضك عما فاتك.»

«أوه... يا ديك. أنت لطيف جداً، لكن...»

حثها ديك على الكلام عندما تركت جوابها غير كامل وقال: «لكن ماذا؟ إذا كان تصرف أمي فقط هو ما يقلقك، انسي الأمر. فأنا ناضج ما فيه الكفاية لأتخذ قراراتي بنفسي.»

نقل كرسيه إلى مكان قريب من مكانها ووضع ذراعه خلف الكرسي وقال: «هل هناك أمر آخر يشغل بالك؟»

كانت هناك أمور كثيرة تشغل بالها وأهمها انها تحب شخصاً آخراً لكنها عجزت عن اخبار ديك.

قال ديك: «أصغي إلي. ليس عليك ان تقرري الآن. فليس هناك داع للعجلة. خذي وقتك واعيدي التفكير بالأمر وأنا أعلم انه ليس قراراً يتخذه الشخص باستخفاف. نحن ناضجان. فكلانا مررنا ببعض الأوقات الصعبة.»

«لدينا أشياء مشتركة يا عزيزتي. فنحن متشاركان في تجربة الموت المؤلم وكل واحد منا لديه طفل يحبه. وكلانا نحب حياة البلد الهادئة.»

وبصرف النظر عن ذكر الاطفال فكرت جين ان صوته يشبه صوت رجل كبير يطلب امرأة للزواج. لكنهما لم يكونا حتى متوسطي العمر بل كانا صغيرين وما زالت الحياة أمامهما.

قالت جين بعد ان اختارت كلماتها بحذر: «اعتقد انك ربما

كنت متهوراً يا ديك. قد احببت ان تمتلك بيتاً جديداً والآن اصبح لديك هذا البيت الذي يروق لك. وها انت بصحبة امرأة غير مرتبطة أو ستكون غير مرتبطة عندما يموت هيكتور، ولكن هل حقاً نملك الصفات التي تجعل من زواجنا ناجحاً؟ كلانا يحتاج إلى شخص. هذا أكيد، ولكن هل فعلاً نحتاج لبعضنا البعض؟ هل أنا حقاً المرأة المناسبة لك؟»

«اعتقد ذلك... في الحقيقة اعتقد ذلك ليس الموضوع فقط ان يكون عندي امرأة تحفظ بيتي أو تكون أماً لتومي. ان ما احتاجه يا جين هو ان تكوني بقربي عندما لا استطيع النوم... عندما احتاجك.»

واضح انه يصعب عليه التعبير عن مشاعره العميقة في كلمات وقد شاركته جين في اضطرابه. ليس فقط لأن هذا ليس المكان المناسب ليعبر فيه عن عواطفه الشخصية ولكن لأنها لم تكن مستعدة لتسمع هذه العواطف منه ولم تفكر بتاتاً في ان تسمعها.

في ما بعد سمعت جين صوتاً خفيفاً في عقلها الباطني يقول لها: انتظري لا تقلبيه رأساً على عقب. انه رجل طيب ولطيف. افعلي ما يقوله لك. اعيدي التفكير.

انتظرت جين آدم ليلتقي بها أمام المحطة في الصباح التالي وتذكرت التصرف الذي قام به عند رحيلهما.

أخذت جين تفكر متنهدة. إذا كان ديك هو الشخص الذي جعلها تشعر بهذا الشعور ربما لو لم تلتق آدم لوجدت ديك أكثر جاذبية وربما كانت هذه الجاذبية ردة فعل مفعمة بالحيوية.

لقد أرادت آدم بيأس. ولكن هل تتوق لتقربه إذا ما عاشا مع بعضهما البعض لعدة سنوات؟

واخذ العقل الباطني يناقشها في الموضوع. ولكن إذا لم تكن الحاجة ملحة في البداية فكيف ستقوم مدى الحياة؟

ما تزال جين تناقش الموضوع مع نفسها عندما رأت سيارة آدم تقترب.

من المحتمل، لو انتظرت جين قليلاً لكان نهض وفتح لها الباب، لكنها سبقته وفتحته بنفسها وركضت بسرعة مبتسمة وهي تقول: «صباح الخير.» وكل ما تمنت بهذه اللحظة هو ان تكون معه فقط.

قال آدم: «صباح الخير.»

هل كانت تحية آدم فظة أو تخيلت جين ذلك؟

قالت جين بينما أخذ هو يتفحص ملابسها قبل ان يتراجع بالسيارة إلى الوراء: «آمل ان تعجبك ملابسي.»

حدق آدم في البنطال والقميص ثم قال: «تبدين رائعة.»

«لقد احضرت معي قميصاً وبنطالاً في حقيبتي في حال اصبحت ملابسي وسخة أو رطبة.»

«هذا جيد.»

في هذه الأثناء كانت جين أكيدة ان شيئاً ما قد ازعجه أو ربما يكون دائماً منزعجاً في الساعات الأولى من النهار.

وبدت هذه النظرة ثابتة عندما امضى طوال الوقت وهو يقود من دون ان يتفوه بأية كلمة. ثم عاد وتصرف كطبيعته عندما التقى صديقيه.

وقد احبت جين صديقيه عندما رأتهما: كان جاك قوي البنية، اسمر يميل للون البرونزي في الاربعين من عمره. اما لويزا فبدا عمرها كعمر آدم.

كان اسم سفينة جاك هارنسر، وعندما سألت عن معنى هذا الاسم قال جاك انه منسوب إلى خرافة انكليزية.

وخلال فترة الصباح أثار غضب جين ان آدم وجه ـ وبالرغم من انه ابتهج وقال العديد من النكت ـ معظم حديثه إلى جاك ولويزا. ولم يقل لها الكثير، وفي الحقيقة لم يقل لها شيئاً.

ان آدم واحد من أفراد طاقم هذه السفينة وهذا بالطبع يجعله مشغولاً لأن هارنسر سفينة كبيرة. فيها مطبخ صغير وصالون وخزانة وسريرين منفردين.

قالت لويزا لجين: «لقد عبر آدم معنا عدة مرات البحر الشمالي.»

قضت جين ولويزا معظم فترة الصباح وهما تجلسان على وسائد على ظهر السفينة يتحدثان بعدة مواضيع. ومن حين إلى حين كانت لويزا تنزل وتحضر المزيد من القهوة وتجد جين فرصة لتراقب هؤلاء الرجلين.

كان آدم يلبس بنطالا وقميصاً فرنسية وصندلاً بني. وعندما تكون لويزا في الطابق السفلي لا يغتنم آدم هذه الفرصة ليعطيها بسمة رقيقة أو كلمة لطيفة، فاضطرت ان تستنتج ان آدم كان يتعمد تجاهلها.

ولكن لماذا؟ ما الذي فعلته وازعجه؟ فهي لم تره منذ ليلتين ولِمَ يبدُ منزعجاً منها؟

وأخذت تفكر مجدداً. هل يعقل انه انزعج للحدود التي وضعتها لوضع حد لعلاقتهما.

وبعد ثلاث ساعات في عرض البحر، عادوا إلى مرساة سفينة هارنسر حيث سيتناولون الغداء.

وفي هذا الوقت اكتشفت جين ان جاك هو جراح في مستشفى للتعليم في لندن. أما لويزا فهي تعلم الفن في مدرسة داخلية للبنات وكانت ابنة جاك تلميذة من تلاميذها.

ورداً على اسئلتهم وعندما عرضت جين بعضاً من ماضيها قال جاك: «آمل ان انافسك يا جين وانتقل إلى البلد للأبد.» وأدار وجهه إلى آدم وقال: «انك تستطيع ايها الوغد المحظوظ. لا يمكنني ان افكر لما لا تستطيع.»

هز آدم كتفيه وقال: «انني افكر بالموضوع من وقت لآخر.» ثم حدق بساعته وقال: «من الأفضل لنا ان نتحرك. شكراً لك على الغداء يا لويزا.»

قالت جين عندما همّ بالذهاب: «وشكراً لك لأنك اصطحبتني. لقد تمتعت بالرحلة بشكل رائع.»

قال جاك بمرح: «هذا جيد. ستأتين مرة ثانية، في المرة القادمة سنجعك تعملين... سنعلمك القليل من فن الملاحة.»

ردت جين وهي مبتسمة انها تتشوق للتعلم بينما كانت تشك من انه سيكون هناك مرة ثانية. لم يكن هناك شك الآن ان آدم غاضب منها. ما زال السبب غامضاً ولكن كل شيء يشير إلى ذلك وبطريق العودة لم يشغل آدم شريط المسجل أو الراديو حتى أنه لم يتكلم.

لم يكن لدى جين أية نية في ان تقضي الرحلة بصمت، فقالت بسرعة: «لقد دعوتني لتناول الشاي مع والدك ولكني لا اعتقد انني سأوافق. هذا إذا لم يكن هناك من مانع.»

شعرت جين ان كلامها ادهشه.

«أوه... ولِمَ لا؟»

«لأني... وبالرغم من انني اريد مقابلة والدك... من

الواضح أنني لست في وضع يسمح لي... تحملت برودتك ما فيه الكفاية.»

لم يخفِ آدم انه كان بارداً معها وللحظات قليلة بدا وكأنه سيتجاهل كلامها. وعندما وصلت نقمة جين إلى نقطة الغليان وكانت على وشك ان تخبره انها لا تستطيع ان توقف شخصاً عن تقطيب حاجبيه، أوقف آدم السيارة واطفأ المحرك.

التفت آدم ليقول لها وجهاً لوجه: «الليلة الماضية، ذهبت إلى حفلة عشاء أقامها مهندس معماري وزوجته المحامية التي ليس عندها الوقت لتضيعه. وطريقتها في التسلية هي تناول طعام بارد، طعام مطبوخ وشراء الطعام الجاهز. وفي الليلة الماضية ذهبت إلى محل بلوبارن لاحضار قالب حلوى ورأتك مع ديك اوسبورن في الحديقة. في الحقيقة انت لا تعرفينها لكنها تعرفك... ذهبت إلى متجرك. ومعظم الناس في الجوار يعرفون ديك واعتقدت انه سيكون امر هام لتخبرنا ان ديك وجد بديلاً لزوجته الميتة. وقد استنتجت ذلك من الانسجام الذي كان واضحاً بينكما.»

وبعد توقف قصير أضاف آدم ببرودة: «لقد امتنعت ان اشير لك انني وفي أقل من أربع وعشرين ساعة الماضية منحت نفسي نفس الحق.»

الفصل التاسع

عندما غضبت جين لسخريته اللاذعة قالت له: «حسناً. هذه شهامة منك يا آدم. ولكن من الأفضل لك أن تشير إلى أن الانسجام بين اثنين ليس دليلاً قاطعاً على علاقة جدية.»

«هل تتلاعبين معه يا جين؟»

قالت جين بسخط: «لا، أنا لا أتلاعب معه!»

قال آدم بغضب: «إذن أنا مضطر لاستنتج انك تتلاعبين معي... كما فعلت بالسابق. لقد بلعت الطعم مرة ولكني لن ابلعه مرتين. ربما ليس لدى ديك فتيل لكن أنا لدي. اشعلي فتيلي وستكونين عرضة للاحتراق.»

عندما سمح لها بالذهاب أخيراً، كانت تشعر بارتباك شديد.

لم يكن لديه أية نية في اهمالها. ولم يظهر لها ذلك إلى ان ظهرت بوابة القصر، وعندما اوقف السيارة في الطريق ليسمح بمرور سيارة بالقرب من سيارته قالت جين: «لا بد انك لست في قواك العقلية! لن اتناول الشاي هنا الآن.»

«ولِمَ لا؟ فوالدي يتوقع حضورك.»

غير آدم اتجاه السيارة واتجه باتجاه عمودين طويلين يدعمان جرتين حجريتين قديمتين.

انفجرت جين به وقالت: «حسناً! لقد نلت هدفك. وتجاهلتني طوال النهار. والآن تتوقع مني أن آتي واكون مهذبة مع والدك.»

حدق بها بدهشة مما زاد من غضبها.

وصلا إلى ممر طويل امام البيت فأوقف آدم السيارة واطفأ المحرك قبل أن يقول: «هل تريدينني ان اعتذر؟»

قبل ان تجيب قال آدم: «إني اتساءل كيف كنت تشعرين لو ذهبت إلى مكان ما الليلة الماضية وسمعت احدهم يقول انه رآني منسجماً مع فتاة في مقهى؟»

«ان تلك الثرثارة التي اخبرتك ذلك كانت تبالغ. لم يكن الوصف صحيحاً كما وصفته لك خادمتك، وهذا لا يبرر كرهك لي اليوم.»

«كره؟ هل كرهت ذلك حقاً؟ لم اكرهك. لن افعل ذلك ابداً.»

ثم ادار وجهه عنها ونزل من السيارة.

وراقبته جين وهو يمشي متقدماً إلى الأمام ليفتح لها باب السيارة وتساءلت في ما إذا كان قادراً على اجبارها على دخول البيت.

لم تكن متأكدة كيف تفسر هذه الحقيقة ان الغيرة هي التي جعلته فظاً معها طول النهار. ولم يكن هناك وقت طويل للتفكير بالأمر الآن. هل هي في وضع يسمح لارادتها ان تتضارب مع ارادته.

«حسناً. سأدخل لوقت قصير.» وامتدت جين لتمسك بحزام حقيبتها التي كانت بعيداً عن متناولها في المقعد الخلفي.

قال آدم: «سأحضرها.» ودفع بها لتخرج من السيارة ووصل إلى المقعد الخلفي.

وبعد القاء نظرة على ساعته قال: «الوقت مناسب الآن فأبي يحب تناول الشاي في الساعة الرابعة والآن الساعة الرابعة تقريباً. اتريدين ان تغسلي يديك؟»

«نعم، لو سمحت.»

وأشار إلى غرفة الحمام في الطابق السفلي وأمسك بحقيبتها: «سنصعد إلى الطابق العلوي في قاعة الاستقبال. اتتذكرين الطريق؟»

«نعم، شكراً لك.»

وبارتياح، اغلقت جين الباب الخشبي الصلب وأسندت ظهرها عليه للحظة متسائلة كيف ستقضي ساعة تحاور والده بتهذيب بينما افكارها وعواطفها مازالت مضطربة.

هل كان غضب آدم لأن احدهم اخبره انه رآها مع ديك؟ وهل هذا تلميحاً منه انه مهتم بها؟ أو هل يعني فقط انه يشمئز لأنها تقضي وقتها مع أي شخص فيما هو مهتم بها؟

وضعت جين هذه المشكلة المحيرة جانباً لتعالجها في ما بعد، قضت بضع دقائق تسرح شعرها وتصلح من أحمر الشفاه.

«يا عزيزتي آنسة تونتون، كم جميل أن اراك مجدداً.» قال الكولونيل فونتني اتيا ليحييها عندما دخلت قاعة الاستقبال بعدما ترك آدم لها الباب مفتوحاً.

وفي طريقها صعوداً نحو الدرج، اعتزمت جين أن تواجه المشكلة بتناول الشاي معه وبما تستطيع ان تظهر من الثقة بالنفس التي تتحلى بها.

وعندما تصافحا ابتسمت وقالت: «ادعوني جين. لقد احضرت لك كعكاً محشواً بالجوز، اشتريته من محل بلوبارن امس. واكلت شرائح منه وتناولت الشاي مع صديق. اعتقدت انك تحب هذا الصنف من الكعك.»

«كم انت لطيفة يا جين. هل اخبرك آدم انني ضعيف

الارادة امام الحلوى؟ تعالي واجلسي. هل تمتعت بنهارك؟ كان الطقس مناسباً للرحلة.»

«نعم. كان وقتاً ممتعاً. تمتعت بالابحار كثيراً. كانت تجربة جديدة بالنسبة لي واصدقاء آدم طيبون.»

«اعتقد ذلك أيضاً. وقد تناولا العشاء هنا في عدة مناسبات. مازال الأمر غامضاً بالنسبة لي، لما لم تتزوج لويزا بعد، ربما لم تلتق برجل مناسب وربما تفضل استقلاليتها. ولا شك في انها تتقاضى راتباً جيداً. آه ها قد جهز الشاي.»

دخلت امرأة متوسطة العمر ترتدي مئزراً وتحمل في يديها صينية ثم قالت لجين: «مساء الخير يا آنسة.»

قال الكولونيل: «لا يبدو ان هناك كثيراً من الناس يتناولون شاي الظهيرة في هذه الأيام لكني احب ذلك. واحب تناول الكعك المحمص وفطائر رقيقة في فصل الشتاء، أو كعك مدهون بالزبدة. اما الخبز والزبدة والمربى مع الكعك فأفضلها في هذا الوقت من السنة. ما نوع الزبدة لدينا اليوم يا آنسة بتون.»

«لدينا اليوم يا سيدي مربى التوت ومربى الخوخ.»

«احضرت لي الآنسة تونتون كعكا لذا نحتاج لطبق آخر.»

قال آدم: «سأحضره بنفسي يا سيدة بتون. ارتاحي انت.»

رأت جين هذه المساعدة المتبادلة في المنزل وفكرت انها ربما تعرفه منذ كان تلميذاً.

وبعدما غادرت السيدة بتون وكان آدم مازال في الطابق السفلي قال الكولونيل: «كيف صحة هيكتور بكلز هذه الأيام؟ ليس بصحة جيدة. أفهم ذلك.»

«لا. انه ليس في صحة جيدة. اعتقد انه يعيش فقط على قوة ارادته. في الحقيقة لا احب تركه وحيداً لكنه أصر انه رجل مستقل ولا يحب ان يعارضه أحد.»

«انه محظوظ لأنك تهتمين به.»

«في الحقيقة انا المحظوظة. انا سعيدة جداً للعيش مع هيكتور أكثر من عملي في لندن. هل تعتقد يا كولونيل فونتني انه من الجنون ان احاول الاستمرار بتجارة هيكتور بعد موته؟»

«حسناً، لقد جنى ثروة لا بأس بها، لا أحد منا سيستمر في عمله إلى الأبد. أما بالنسبة لسؤالك... لا يمكنني ان انصحك يا عزيزتي، وفي الحقيقة أنا افتش عن مساعدة لي هنا وما اخبرني به ابني عنك يناسب العمل معي.»

«ربما بالغ آدم كثيراً في قدراتي.»

ونظر إليها الكولونيل نظرة حادة وقال: «اشك بذلك لأن ابني قاضٍ ممتاز بالنسبة للحكم على الشخصية وانا احترم آراءه. سنتناول الشاي على المائدة القديمة الطراز. هلا جلست هنا؟» وسحب لها الكرسي.

وبعدما جلس تابع الكولونيل شرح التغييرات التي رآها في التجارة منذ بدأ فيها مع زوجته.

حاولت جين أن تسمع بانتباه لكن تركيزها كان منصباً على ما حصل بينها وبين آدم، ولم تستطع التركيز ابداً عندما دخل آدم الغرفة مرة ثانية.

«لقد اقترحت على جين ان تأتي وتكون مساعدة لي عندما يموت هيكتور بكلز وذلك افضل لها ان تحاول الاستمرار بالتجارة لوحدها.»

سأل آدم وهو ينظر اليها: «ما كانت ردة فعلها؟»

قالت جين: «سأهتم بهيكتور طالما هو حي.» ثم التفتت إلى العجوز وقالت: «لكني اقدر عرضك هذا وسأعيد التفكير فيه، ففرصة العمل في هذا البيت الجميل فرصة مغرية. ومن جهة اخرى اشعر ان محاولة الاستمرار بالتجارة هي تحدي. في السابق وفي يوم من الأيام واجهت تحدياً وتحملت خياري الذي ندمت عليه منذ ذلك الحين. ومع الادراك المؤخر، لم اكن في الأمان ابداً. انت وزوجتك لم تكونا في امان ايضاً عندما بدأتما العمل يا كولونيل.»

«هذا صحيح. ولكن كنا قليلي الخبرة ولم يكن لدينا أية فكرة عن التجارة المتوقفة على الصدفة التي كنا متعهدين بها. ان التجارة بالاثار القديمة كانت دائماً طريقة خطرة لجمع ثروة، والمخاطر الآن بعيدة كل البعد عن تلك الأيام عندما فتحنا المتجر أنا ولورا.»

«لقد سمعت ان زوجتك كانت تجمع أشياء صنعها الفنان فابرج، وأحب أن أرى هذه المجموعة. ولكن ربما تحتفظ بها في البنك الآن؟»

«لا، لا... ما زالت هنا، فنحن نؤمن عليها أكثر هنا، ولكن زوجتي حرصت على ان تحتفظ بكنوزها في صندوق متين. وبعد تناول الشاي سأدعك تشاهدينها.»

ان مجموعة السيدة فونتني الأخيرة للفنان فابرج كانت موجودة خلف زجاج وعلى رفوف زجاجية في فجوة بجوار الغرفة الصغيرة، كانت تعرف بغرفة الخياطة.

«كانت زوجتي تصنع معظم ملابسها واصبحت ماهرة في تصليح الغزل القديم.» شرح الكولونيل بينما كان آدم يفصل

جهاز الانذار المميز الذي يحمي قطعة فابرج: «معظم الستائر في هذا البيت اشترتهم لورا من محل في البلد وقد عملت على اصلاحها وغيرتها منذ زمن قبل رواج الموضة الحالية للستائر القديمة الطراز، كالستائر الحريرية المشربة القديمة...» وعرض لجين الماكينة وهي قديمة الطراز وقد اصلحت قطعاً من الصوف الالماني وبعض الأشياء الأخرى وأعمال أخرى أفسدها العث. وها هو ابريق الشاي ذو الخرز الفكتوري الذي بعثر بعض من خرزه على طاولة الخياطة بانتظار شخص ما ليعيد اصلاحها. يوجد مئات الخرز الزجاجي الملون ومكبات للخيوط والخيطان في الجوارير الصغيرة في الخزانة بجانب الطاولة.

وفي هذا الوقت فتح آدم فجوة الجدار واصبحت قطعة فابرح جاهزة للنظر.

«وعندما تربعت الملكة سيلفر جوبيلي على العرش عام ١٩٧٧ ألف وتسعماية وسبعة وسبعين اقام متحف البرت وفكتوريا عرضاً رائعاً لها. وكثير من المعروضات قدمت من مجموعة ضخمة في ساندرينغهام ومعروضات اخرى من مجموعات خاصة من مختلف انحاء العالم، واقرضت زوجتي اثنتين من مجموعتها واحدة منها كانت هذه الحلزون الرائعة وكانت هدية رائعة من جد آدم إلى عروسه في المستقبل.»

وأخذ الكولونيل الحلزون واعطاها لجين لوضعها على راحة يدها.

قال آدم: «جسم الحلزون مصنوع من العقيق الأبيض. أما الصدفة فهي حجر كريم شفاف.»

قالت جين: «لست حادة النظر في الحلزونات الحية ولكن هذه جميلة جداً لأن هذه الصدفة تحتوي على الوان رائعة. ازرق، رمادي، بني، بنفسجي واخضر فاتح.»

«نعم انها قطعة جميلة.» قال الكولونيل ذلك ثم أخذها من يدها واعادها إلى مكانها، ثم أمسك طابة حمراء على شكل فيل. «هذه هي القطعة الثانية التي اعارتها لورا لمعرض ألبرت وفكتوريا.»

سألت جين: «من اين اتى الحجر الأحمر؟»

«انه لون رائع. لقد اكتشف احدهم سر كيفية صنعه وهو يعمل في مصنع ضخم للزجاج في منطقة سانت بيترسبرغ، وقد صنعت مادة مشابهة في القرن الثامن عشر، صنعها شخص يدعى لابيدرايس ويعمل لدى شركة فينيت الزجاجية المشهورة في مورانو.»

قال آدم: «لقد وجدت أمي في صندوق خاص بالسلع البالية ختماً احمر ولمدة طويلة لم نعرف ان هذا الختم خاص بفابرج.»

وأضاف والده: «وهذا الفرس هو هدية آدم لذكرى زواجنا الخامس والعشرين.»

ان المجموعة التي شكلت في مدة ثلاثين عاماً والتي كانت السيدة فونتني شريكة بالتجارة لم تكن تحتوي على وجه الحصر على الحيوانات. فقد احتوت على قبضتين لطائرتين احاديتي السطح وعدد من الصور وزوج متماسك من المشابك. من الواضح انها كانت مولعة بالحيوانات المصغرة وكانت تروق لها بشدة، فكانت هناك قرود وفئران وبومين وأكثر من قطة. وتساءلت

جين أي واحدة من القطط اشتراها آدم من متجر هيكتور؟

هل أن الرجل لم يذكر شيئاً عن القطط لأنه كان هناك شيء غامض في تلك الصفقة، فضلا ان يتجاهلا الحديث عنه؟

وبينما تفحصت الفن المتقن لتلك التحف شعرت انه كان مقرراً عدم ذكر ان واحدة من القطط قد تمّ شراؤها من هيكتور.

قال الكولونيل: «في انكلترا، كانت الملكة الكسندرا هي التي بدأت في رواج هذه التحف الصغيرة والمزخرفات في اواخر عهد فكتوريا، ومع بدء عهد الأدواري وكما تعلمين، كانت اميرة هولندية قبل ان تتزوج من ادوارد السابع اما اختها فقد تزوجت من تسار الكسندر الثالث. ورأت الكسندرا قطعاً مثل هذه القطع في زياراتها إلى روسيا وفي ما بعد قدم لها الملك تشكيلة واسعة من المزخرفات هدايا لها.»

سألت جين: «هل هناك علامات فارقة على هذه التحف؟»

«بعضهم نعم لكن...» وفي هذه اللحظة رن جرس الهاتف وقال الرجل: «اعذريني، هلا عذرتني؟ سيريك آدم العلامات.»

غادر الكولونيل الغرفة ليرد على الاتصال من غرفة اخرى.

التقط آدم مكبرا كان بجانب رف من الرفوف واعطاه لجين. وبعدها اختار علبة سجائر منقوشة واراها العلامة مكبرة التي ظهرت على شكل رأس امرأة، وفي مظهر جانبي يظهر على رأسها تاج مرصع بالجواهر والزهور.

أخذ آدم يشرح لها: «هذه العلامة الذهبية الروسية تدعى كوكوشنيك متحدرة من اسم لغطاء رأس زيني.»

«قبل عام ١٨٩٦ ألف وثمانماية وستة وتسعين كان هذا بالنسبة لسانت بيترسبرغ شيء تافه، وكذلك الأمر بالنسب لموسكو. وهذه الحالة في بيترسبرغ لأن لديها اسم فابرج وهو من الشخصيات الروسية المشهورة ويتبعه الحرفيون الأصليون.»

سألت جين: «وكيف تميز الحيوانات المصغرة؟»

«ليست هناك علامات تميزها عن باقي الحيوانات واذا وجدت فانها حجر صلب أو حجر كريم منحوت باسم روسي عندها لا تكون القطعة من قطع فابرج. فاحتراماً لجمال المادة أو التحفة كان دائماً اعتباره الأول أن لا يضع أية علامة فارقة ولا حتى على الجانب السفلي.»

«إذن ليس هناك طريقة لمعرفة ان كل هذه الحيوانات هي من صنع فابرج؟»

«فقط بامتياز التصميم والنحت. لأن فابرج يملك مستويات فائقة وبارعة. وليست كل المنحوتات التي تنحت في الورش تنجح بالامتحان الدقيق فقد كان الأفضل هو المناسب للبيع.» واختصر قائلاً: «التحف الغالية تلقى اهتماماً خفيفاً إذا كان الاهتمام لمجرد عدد من اللآلىء والالماس. وفي الوقت الذي صنعت فيه هذه الحيوانات لم تكن غالية جداً، ولكن يمكن ان تكون قد كلفت ما يساوي ما تتوقعين دفعه لنوعية جيدة من زخرفة اليوم.»

«لكن لا بد أنها ذات قيمة الآن؟»

أومأ آدم وقال: «ربما يأتي يوم لبيعها ويكونوا عندها بحاجة لترميم أساسي كترميم سطح. ولكن آمل أن لا يصبح الأمر ضرورياً في ايام أبي، فهي بالنسبة له حدث هام

لحياته مع أمي. كانا مقربين جداً... عاشا حياتهما كما يجب أن تكون، ولكن نادراً ما تكون الآن بهذه الطريقة.»

«هل هذه لهجة ساخرة تشير إلى انك لن تتبع خطى والديك؟»

«أود ذلك، لكن... من يدري؟ فنحن نعيش في زمن اخر مع قيم مختلفة فالواحد من كل ثلاث زيجات ينتهي بطلاق.»

«انها نظرة سلبية لواحد... شخص يتقيد باقوال الصحافيين... أنا افضل النظرة الايجابية. ان زيجتين من ثلاث زيجات يدومان وينجح أربعة من كل ستة اشخاص إذا اختاروا الشريك المناسب.»

أعاد آدم اغلاق الزجاج الذي يخفي الفجوة وقال: «على اعتبار ان نظرتك نظرة تفاؤل، لِمَ ما زلت عزباء؟»

فكرت بماذا تجيبه وهو لا يعلم شيئاً عن ابنتها آبل، ثم قالت: «كنت سأتزوج في يوم من الأيام. وقد قتل في حادث.» وتوقفت قليلاً قبل أن تتابع وسألت: «لِمَ أنت أعزب؟»

وبدلاً من ان يرد على سؤالها قال: «لا بد ان ذلك كان صعباً. كم كان عمرك عندما حصل ذلك؟»

«الثامنة عشرة.»

«كنت صغيرة لتتكيفي مع خسارة شخص تحبينه. انه صعب حتى في زمن والدي.»

ونظرا لتصرفه السابق كان تعاطف آدم محبطاً.

ومن دون تفكير قالت له: «لكن في وقت ديك وفي حالته الوضع اسوأ. كنت حقاً صغيرة جداً لبدء علاقة ابدية. اما والدك فقد عاش سنوات من السعادة. لكن هذا المسكين خسر زوجته الشابة التي تركته مع طفل صغير... لا بد ان ذلك افظع.»

«أنا اوافق، ولكن لا تدعي تعاطفك معه يتغلب عليك فلن تكوني سعيدة معه وأنت تعلمين ذلك.»

كان من الصعب عليها أن تنتقد تعبيره ولم تكن تريد أن تكشف كيف جرت الأمور بينها وبين ديك. عندها وجدت نفسها تقول: «يعتقد انني ساكون سعيدة.»

«يحتاج لامرأة في حياته. أية امرأة تكون حسنة المزاج تعتني بابنه كعناية الأم بولدها وتدفىء حياته. الا تريدين حياة مريحة لبقية عمرك؟»

ارادت ان تقول هل تقدم خياراً؟ ولكنها عرفت لو سألت هذا السؤال ربما يحطم جوابه كل امالها. انه يريدها، هذا واضح، ولكن ليست الطريقة التي تمنت ان تكون رغبته بها إلى الأبد.

قالت جين له: «هل دائماً تعمل وتكون متأكداً ما هو الأفضل بالنسبة للاشخاص الآخرين؟»

«ليس دائماً، لكن في هذه الحالة نعم.»

بعد بضع دقائق سمعا خطى اقدام والده على الدرج.

قال آدم: «علي ان اغادر هذه الليلة. فهناك موعد مبكر في لندن غداً وسأعود نهار الجمعة.»

وبينما دخل والد آدم الغرفة قال آدم: «سأصطحب جين إلى منزلها الآن.»

بدت خيبة أمل الكولونيل صادقة وقال: «اوه. بهذه السرعة؟ كنت آمل أن اريها بعض من كنوز امك. يجب أن تأتي في أقرب فرصة يا عزيزتي.»

«اني اتشوق لذلك... وشكراً لك لأنك سمحت لي برؤية كل هذه الأشياء الرائعة.» قالت جين هذه العبارة وهي تحدق في فجوة الجدار.

«كان الوقت ممتعاً. شكراً لك على الكعك.»

احست جين بدفء ابتسامته لذا تراجعت في السؤال عن رأيه في قصة قطه فابرج لأنها اعتقدت ان الوقت لم يكن مناسباً.

اغتاظت من سكوت فونتني عن ذكر القصة، ولكن عليها ان تتجنب اسئلة هيكتور في هذه اللحظة وخاصة كيف امضت نهارها. شعرت جين بالخجل لخداعه وبالرغم من انها كانت على يقين ان ذلك هراء.

وبعد، وكأنها لم تتعلم الدرس من الماضي، فاخترعت شخصية وهمية لآدم، والآن تخدع هيكتور. لم يكن ذلك صواباً.

نظرت إلى آدم الذي قطب حاجبيه وتساءلت ما الذي يدور في رأسه.

وعند ضواحي القرية قال آدم: «بما أني شخص غير مرغوب به بالنسبة لابن عمك، فمن الأفضل ان لا اوصلك حتى الباب.»

تشجعت جين وقالت بصراحة: «لما انت ووالدك على لائحة هيكتور السوداء؟ أنا متأكدة من انك تلاحظ كم فظيع هذا الأمر بالنسبة لي، وأنت لم تذكر أي شيء عن هذا الموضوع. توقعت انك ستكلمني فيه بعد الظهر عندما كنا ننظر إلى مجموعة والدك، لكنك لم تقل أية كلمة.»

«ليس عندي شيء اقوله في هذا الموضوع، فلسنا الوحيدين الذين يكرههم هيكتور انه مشهور بكراهيته. وفي حالتنا هذه افترض انه نوع من الاشمئزاز لأن عمل والدي ازدهر بينما عمله تدهور.»

«ان الموضوع أكبر من ذلك.»

«الكره والحسد عاطفتين قويتين. فهذين الشعورين يقودان الرجال إلى القتل. والآن بما انك نظفت المكان فمن السهل نسيان الكآبة التي سمح بتضخمها. ويمكن أن تكون ثورته علي نظرا لشعوره بالفشل.»

ولأول مرة منذ أن عرفته، انتبهت جين إلى انه بالاساس هو مندوب مبيعات وحتى لو لم تكن هذه الصفة ما يصفون بها كراوثورن انفسهم. كان جواب آدم جواباً لطيفاً إلى حد ما متملق. ولم يكن مثله ولم يبد كذلك.

قالت جين: «ليس هذا هو السبب. بل شيء أبعد وأكثر تحديداً. وأنت تعلم ذلك... وبالتأكيد لا يمكنك ان تنسى لماذا يكرهك؟»

قال بصوت جاف: «لم اعتقد ابداً ان ذلك يهم كثيراً.»

كان لدى جين انطباع قوي لطي الموضوع.

«حسناً، نظرا لصحته الضعيفة ربما الآن لا يهم. ولكن لو لم يكن مريضاً لكان الأمر مهماً. على أية حال اعتقدت انك تريد ان أعرف وجهة نظرك في الموضوع.»

سأل آدم: «ماذا اخبرك الرجل العجوز؟»

«برأيه ان واحدة من القطط التي رأيتها اليوم سرقت منه.»

«وكيف يبرهن ذلك؟»

«يقول ان إحدى البائعات باعت القطة لك بسعر اثنان ونصف باوند ولكنها كانت بسعر مئتين وخمسين باوند... وإذا لم تكن تعلم ان ذلك كان غلطة فوالديك كانا يعرفان بسعرها؟»

ها قد وصلا القرية دون أي تعليق على كلامها. وصل

آدم إلى منتصف الطريق على طول الجدول الذي لم يكن بعيداً ولكنه بعيد النظر عن نافذة متجر هيكتور. وهناك أوقف السيارة واطفأ المحرك.

والتفت آدم إليها مباشرة وقال: «وهل تصدقينه؟»

«لا، لا اصدقه تماماً، ولكني لا اعتقد انه كاذب. هناك بعض من الحقيقة في هذا الموضوع. والحقيقة هي انك تقبلت عداءه دون أي تعليق. وهذا اليوم لم تعرض علي أية قطة من القطط ومن أين مصدرها ومكان متجرها وهذا يحيرني. لِمَ لا تشرح ما حصل حقيقة؟»

اخذ آدم وقته ليرد عليها ونقل نظره إلى امرأة كانت تعبر المرج برفقة كلب كبير يمشي على عقب قدميه واخذ يراقبهما لبضع لحظات قبل أن يقول: «لا اعتقد اننا سنكسب شيئاً لو اعدنا إلى اذهاننا حادثة منسية، حادثة حصلت منذ حوالى عشرين عاماً. فانقطاع العلاقة الودية بيننا وبين هيكتور لن تصطلح في هذا الوقت المتأخر. بعض الحقائق التي اعطاك إياها كانت صحيحة، وبعضها الآخر لا. وفي بعض الأوقات يجب أن يثق الانسان بطبيعة الانسان الآخر. وهذا ما ستفعلينه هذه المرة يا جين. سأتصل بك نهار الجمعة.»

ترجل آدم من السيارة ومشى إلى الباب الأمامي ليفتح لها الباب.

الفصل العاشر

وجدت جين هيكتور نائماً على كرسي هزاز خلف الحديقة الصغيرة بعد ان اصلحت الاعطال الموجودة فيها وتولت العناية بها عندما وصلت. فقصت فروع الكرمة الزائد والعشب الشائك.

كان على جين أن تقوم بكثير من العمل قبل أن تصبح الحديقة جميلة كحدائق الجيران. لكنها استهلت العمل بزرع الأزهار والبازيلا الحلوة ليعطوا للحديقة الواناً ورائحة سريعة، وقد ساعدها في ذلك روز فارنهام وهي واهبة كريمة، فقد وهبتها بعض الشجيرات الصغرى. كان هدف جين ان تجعل من هذه الحديقة حديقة نموذجية حيث تمتد الخضار والأعشاب العطرية في كل مكان.

ولكن سوف يستغرق وقتاً طويلاً ولن يعش هيكتور طويلاً لأنه بدا ضعيفاً جداً وهو مستلقٍ على ذاك الكرسي القديم ويسند قدميه على مسند الكرسي والمظلة تظلل وجهه.

وفي غياب جين زار هيكتور ضيف. وكان هناك كوبين معدنيين إلى جانب إبريق بني كبير على صينية وضعت على الاعشاب.

وبهدوء ولعدم ازعاجه، حملت جين الصينية إلى الداخل لتغسل الكوبين وتحضر إبريقاً طازجاً من الشاي.

وبينما انتظرت حتى يغلي إبريق الشاي تابعت تخمينها في تصرف آدم عندما حاولت أن تستنتج حقيقة قطة

الفابرج. وفجأة خطر في بالها ان من يعرف كل الحقائق ويستطيع كشف السر هي السيدة فارنهام. فإن لهذه السيدة صلة بالفريقين وكلا الفريقين احبها.

«جين... هل انت هناك؟»

اجبرها هذا الصوت الذي سمعته آتياً من الحديقة على ان تضع جانباً افكار آدم وتسارع إلى الخارج.

«نعم لقد عدت. اترغب بمزيد من الشاي؟»

حدق الرجل العجوز بها وقال: «لا، لا ارغب. ما هذا الذي سمعته عنك وعن ذاك الوغد آدم؟»

وخفق قلبها. من الذي شاهدها مع آدم وأخبر هيكتور؟

فكرت جين كيف ستعالج الموضوع. ناقشت الأمر بشدة وقالت ان آدم ليس وغداً. والمشكلة انها كانت ما زالت لا تعلم الحقيقة لترد على رأي هيكتور بالنسبة لعائلة فونتني.

«انها طريقة لطيفة لتكافئي عطفي... تدعين نفسك تخدعين بشخص رديء سلس اللسان. لقد اعطيتك الثقة لأمر مهم، لأنك امرأة خاطئة. ففتى شريف مثل ديك اوسبورن يعرض عليك ان يجعل منك امرأة مستقرة. كان هنا بعد الظهر، واراد مني أن اتوسطله واستعمل تأثيري عليك. وأي تأثير؟» قال هيكتور بسخرية لاذعة: «لن تكترثي لرأيي... أكثر مما اكترثت لرأي والدك.»

«ليس هذا عدلاً يا هيكتور. فعمتي دي، كانت تعلم بمقابلتي مع نيكولاس، وقد شجعت صداقتنا. وأنت غير عادل بالنسبة لآدم. انه ليس كما تتصوره. وفي الحقيقة التقيته في لندن قبل مجيئي إلى هنا. لم اشأ ان اخدعك، كنت فقط احاول أن لا ازعجك.»

«إذن تقولين الآن انك اكتشفت غلطتك. يتأسف الناس دائماً عندما تكتشف اعمالهم السيئة في العلن. هل انت مجبرة على احتمال هذه العلاقة الكريهة؟»

«علاقة كريهة؟» قالت جين وهي تتراجع إلى الوراء: «لا، لا. لست على علاقة كريهة.»

قال هيكتور: «إذن انت الأكثر غباء. اتعتقدين انك تعلمت درساً مما حصل.»

شعرت جين انها تتوهج من شدة الذعر: «لم تنشأ أية علاقة بيننا.»

«ماذا تعنين؟»

«أنا وآدم لسنا على علاقة من ذلك النوع.»

«ربما ليس بعد. لكنني لا اشك ان هذا هو هدفه. لن يتزوج منك. انت تعلمين، فالرجل الكبير لن يسمح بذلك... لن يعتبرك محترمة لتتزوجي من ابنه وترثي ثروته... وخاصة بتاريخك الماضي. هل اخبرت اوسبورن بذلك؟»

أومأت جين وقالت: «ديك يعلم عن آبل ولكن...»

«وما يزال يريد الزواج منك. يجب أن تعترفي انك محظوظة. ففي هذه الأوقات الصعبة لا يوجد رجال يتزوجون من ارملة وفي عهدتها طفل.»

«ان آبل ليست في عهدتي. تمنيت لو كانت، هذا هو الأمر الوحيد الذي ندمت عليه... لم أرعها. كانت تلك غلطتي الأسوأ. لقد سمحت لعلاقتي بنيكولاس ان تتطور ونسيت حينها ان افكر بالنتائج المحتملة.» قالت جين هذه العبارات بمرارة شديدة.

قال هيكتور: «حسناً، لن اجادل في هذا الأمر مجدداً،

فكلنا نقوم بأعمال غبية عندما نصبح مراهقين. ولو لم يكن والد الطفلة قد قتل لما تحول الموضوع إلى هذا الوضع السيىء. لكنك الآن اصبحت امرأة ناضجة ويجب أن تفكري كما ينبغي ان تفكري. ليس من صالحك رؤية ذلك الفتى ولا تتسرعي بخسارة ديك. ستكونين بامان معه... بأمان لبقية عمرك. ويجب أن تعلمي ان آدم لن يجعلك تنضمين إلى عائلته عندما ينتهي من لعبته.»

قالت جين: «ليس هناك مشكلة. ليس لي اهتمام بآدم. ان علاقتي به علاقة صداقة، اما بالنسبة لديك... فهو يعجبني ولكني لا احبه ولن احبه.»

قال هيكتور بصوت اجش: «لا يهم إذا لم تحبيه. العاطفة والثقة... كل الكلام عن الحب هو كلام فارغ. يعطي الناس بهجة هذا إذا دام. ولكن كم يدوم ذلك؟ بضعة اشهر، ربما سنة وفي ما بعد يزول وحينها ماذا يبقى؟ الوهم. الأفضل لك وفي حالتك هذه ان تتزوجي ديك لاسباب معقولة: بيت مريح ومورد رزق، وبالنسبة إليه أنت امرأة قادرة تهتم ببيته وبابنه. ومع بعضكما البعض ستنجبان اطفالاً اخرين. ولن تقلقي على آبل كما تقلقين الآن.»

وعندما لم ترد تابع يقول: «اتعتقدين انني لا أعلم عن ماذا اتكلم، لأنني اصبحت كبيراً في السن لأتذكر ما يناسب عمرك. اني اتذكر بوضوح. منذ اربعين عاماً تزوجت بعد أن وقعت في الحب وجعلنا من هذه القصة سجعا مثل سجع او هديل اليمامة، هذا في البداية. اما في النهاية اصبحت هذه القصة زمجرة كزمجرة القطة والكلب. دامت القصة اربع سنوات. وعندما انفصلنا كانت المشكلة ان تلك الفتاة الوديعة

التي تزوجتها، رحلت مع شخص آخر وجعلته رجلاً سعيداً كما سمعت لاحقاً، ولم اقع في الفخ مرتين، فعضة واحدة تكفي كما يقولون.»

«لقد فهمت. تساءلت دائماً لما بقيت اعزب.»

«والآن تعلمين. لذا انتبهي إلى صوت التجربة ولا تقعي في نفس الغلطة. ان ديك ليس كما تظنين، انه حنون ولطيف وهذا ما يحسب في هذا السياق، أما ابن عائلة فونتني فهو متعجرف ومتحفظ الآن أكثر مما اعتاد ان يكون، ولكني اشك في انه غير اساليبه. فالمتعجرف يبقى متعجرفاً ولا يتغير.»

قالت جين: «هذه شائعة يا هيكتور... وليست حقيقة. فالسيدة فارنهام تتكلم عن آدم بكل خير.»

«هـ م م... انها تتكلم بالخير عن كل واحد... بما فيهم زوجها عديم الفائدة. كان معروفاً بقسوته ولكن عندما تسمعينها تتكلم عنه تعتقدين انه كان مثالياً هذه المرأة الفاضلة ترى الحياة من خلال منظار زهري.»

قالت جين بفظاظة: «ربما هذه افضل طريقة لرؤية الحياة وافضل من النظر إليها دائماً من الجانب المظلم.»

في ما بعد وعندما كان هيكتور في فراشه اتصل ديك بها.

«آسف إذا وضعتك في موقف حرج هذا المساء. اعتقد هيكتور انك كنت معي، اليس كذلك؟»

«افترض ذلك، نعم. لم اخبره انني كنت اقابلك. وكيف عرفت اين ذهبت؟»

«أنت لست في لندن يا جين. لا يمكنك ان تخفي شيئاً في هذا البلد. لقد التقيت بشخص في الحفلة امضى صباح

الأحد مبحراً واخبرني انه رآك بصحبة آدم. هل تمتعت بوقتك؟»

«نعم، لقد تمتعت. كنا أربعة اشخاص: الجراح الذي يملك الزورق ورفيقته وآدم، وبعدها ذهبت لتناول الشاي في منطقة مانور وقد قدمت الي وظيفة كمساعدة لدى الكولونيل فونتني.»

«وهل ستقبلين بها؟»

«لا، طالما هيكتور بحاجة إلي.»

«وبعدئذٍ؟»

«لا اعلم يا ديك... لست اكيدة ماذا افعل... حينئذ.»

قال بصوت منخفض: «احتاج إليك أيضاً ولكنني أعلم انه ليس بامكاني ان اتنافس مع آدم. وكما تقول اختي فهو حلم كل امرأة، ولكنها قالت ذلك قبل أن اخلص منها بالخداع والحيلة والمكر من أجل امرأة اخرى. كوني حذرة يا جين. اكره ان تتألمي بالطريقة التي تألمت بها جيل.»

«ولا اريدك أن تتألم انت أيضاً يا ديك.»

«أهذه طريقة غير مباشرة للقول انك لن تتزوجي مني؟»

جزء منها اراد ان يقول نعم وتنهي شكه وجزء آخر كان يتذكر ما قاله هيكتور منذ بضع ساعات.

قال ديك بسرعة: «لم تفكري بعد. حسنا، هذا جيد بالنسبة لي. خذي ما تشائين من الوقت... اشهر.. سنة، يمكنني الانتظار.»

وبعد ثلاث ليالي بين شروق وغروب توفي بكلز وهو في فراشه.

وقد اكتشفت جين موته عندما اخذت له فنجاناً من الشاي.

في ما بعد اتصلت جين برقم هاتف الطبيب الخاص الذي كان يعالج هيكتور بينما كان يجري عملية جراحية صباحية...

وبعد توقيع شهادة الموت قال الطبيب بلطف: «هل يمكنك القيام بترتيبات الجنازة؟ اتريدين بعض المساعدة؟»

«يمكنني تدبر الأمور وقد ترك هيكتور التعليمات.»

اعلن الدكتور موت هيكتور لممرضته على مسمع الناس في غرفة الانتظار، وفي وقت الغداء وصل الخبر إلى سائر انحاء القرية واندهشت جين لعدد الاشخاص الذين اتصلوا ليقدموا التعازي والمساعدة رغم انه ليس مشهوراً.

قالت روز فارنهام عندما جاءت وقت تناول الشاي وقد سمعت النبأ من زوجة نائب غوزبك: «هذا لانهم يحبونك يا عزيزتي. اسمعي، اعلم انك فتاة حساسة وكنت أعلم انه لن يعيش وقتاً اطول. وعندما يموت شخص ما عادة يكون النبأ صدمة قوية. يجب أن لا تبقي هنا وحدك. لِمَ لا تأتي وتنامي في بيتي عندما تنتهي الجنازة؟»

قالت جين بامتنان: «أنت لطيفة.»

«سأكون مسرورة برفقتك. فبيتي كبير جداً بالنسبة لامرأة وحيدة. لو كان الأمر عائداً لي لكنت بعت هذا البيت. ولكن إذا انتقلت إلى بيت صغير، عندها لن يرغب احفادي بقضاء العطلة معي. انه البيت الذي يحبونه.»

قالت جين لها: «أنا متأكدة انهم سيحبون العيش معك اينما عشت. وانت طاهية رائعة، اني اقدر تلك الليلة التي حضرت من أجل تناول العشاء.»

وبعد ان تناولت الوجبة الثانية في مطبخ السيدة فارنهام

المريح قالت جين لها: «روز، هناك شيء ما يدور في عقلي ويثير غضبي، منذ ان اتيت أول مرة لزيارة هيكتور. اتمنى ان اصل إلى الحقيقة واتساءل إذا كنت تعرفين الحقيقة.»

«حقيقة ماذا؟»

«العداء الذي بين هيكتور وآل فونتني.»

تجنبت السيدة فارنهام نظرة عينيها وقالت: «هذا خصام منذ زمن طويل، الا تعتقدين انه من الأفضل ان تتركي الأمر منسياً؟»

«لا، لن انسى... لن انسى عندما تكون سمعة شخص ما متورطة. لقد اتهم هيكتور آل فونتني بانهم جعلوه اسفل السافلين. لا يمكنني ان اصدق انهم ينحطون إلى تصرف خسيس وعندما سألت آدم عن الموضوع كان جوابه غامضاً.»

«نعم، ربما يكون غامضاً.»

«لماذا؟»

«لا بد أن ذلك يتعارض مع رأي آدم. ربما يدمر ذلك احترامك لهيكتور. ربما ستحتقرينه. ان آدم هو ابن ابيه ولورنس فونتني هي عضو من اعضاء هذه العائلة وتنتمي إلى رجل لطيف، رجل يقول كلمته وتكون هذه الكلمة بمثابة ميثاق. رجل يفضل ان يموت على ان يخون.»

وبعد توقف طويل قالت جين: «إذن من كان المخطىء؟ هيكتور؟»

«اخشى ذلك. نعم ولكن ما فعله هو عادي جداً ومعظم الناس الذين يعملون في التجارة يعتبرون ذلك طبيعياً.»

«ماذا فعل؟»

«لقد اتت امرأة إلى متجره تحمل بعض القطع للبيع، كانت هذه القطع تعود إلى جدتها التي بدأت حياة العمل كخادمة في منزل كبير في منطقة نور فولك وكأسلوب أي تاجر سألها هيكتور كم تريد ثمن هذه التحف، لم يكن لديها أي فكرة عن القيمة واقترحت إثني باوند لكل قطعة. وقال ان سعره غالٍ جداً وقدم لها سعر واحد ونصف باوند فقط، وعندها وضع القطة في الواجهة بـ اثنين ونصف باوند وخفض او رفع القطع الأخرى.»

«اخبرني ان القطة سعرت بسعر ٢٥٠ مئتين وخمسين باوند وقد اخطأت البائعة بقراءة السعر.»

هزت روز رأسها: «ليس صحيحاً... وبالرغم من ذلك كلما تقدم الوقت كلما صدق ذلك اكثر. ان سعر ٢٥٠ باوند هو سعر ما تجلبه قطة مماثلة عرضت في مزاد علني اقيم في لندن. والقطة التي اعطاها آدم لأمه لم تكن تساوي الكثير عندما مرت بيدي بكلز ولكن ربما تساوي اكثر مما دفع آدم، وذلك ازعج لورا فونتني التي لم تتحمل ذلك، حتى أن البائع لم يلقِ سعراً عادلاً. لذلك سعت جاهدة لتكشف مصدر هذه القطة... وذلك ليس صعباً في مجتمع ريفي. وبعدها توجهت لورا إلى المتجر لتعطي سعراً افضل.»

قالت جين: «تبدو السيدة فونتني امرأة رائعة.»

«نعم كانت... ما زلت افتقدها كثيراً.» وافقت جين متنهدة وتابعت قولها: «ولكن لسوء الحظ هذا الباعث ينهض من جديد، فالمرأة التي باعت القطة كانت ثرثارة. وعندما انتشرت القصة على مسمع الناس الذين لا يحبون هيكتور وحتما حرفوا القصة على انه غش المشتري.»

«وفي أي شكل من الأشكال تصنفين هذا الغش؟»

قالت روز: «لا يمكنني قول ذلك عندما يعود الأمر للبيع والشراء بتجارة الاثار القديمة انه البائع الذي يجب أن يكون حذراً، أن هذا عمله في اكتشاف ما تساوي هذه الاجسام، وهذا ليس صعباً فالمكتبات العامة مليئة بالكتب التي تعطي ارشادات.»

وتوقفت قبل أن تتابع ثم قالت: «بالرغم من أنه يقال في الوقت الذي حدث كل ذلك، كان هناك فقط مجموعة مختارة من المتخصصين الذين يعرفون عن تحف فابرج، كان هيكتور تاجراً خبيراً لكنه لم يقدر سعر قطة فابرج بسعر جيد. والحقيقة انه انزعج كثيراً عندما سمع ان مجرد تلميذ قدرها بسعر افضل، وفي ما بعد وهو يقرأ جريدة عن الاسعار التي تجلبها القطط التي صنعها فابرج، اثار ذلك غضبه. ومنذ ذلك الوقت أخذ موقفاً حاسماً من عائلة فونتني ولم يعد يكلمهم بطريقة لطيفة.»

نهضت روز عن الكرسي لتنظيف الأطباق وتقديم الحلوى.

«الأحد الماضي عندما اكتشف هيكتور انني كنت ابحر مع آدم غضب، ولكن ليس كما توقعت ان يغضب. لا اعتقد انه كان يملك القوة ليفقد اعصابه. يا له من رجل مسكين.»

قالت روز: «ربما لا، ولست مندهشة إذا كانت الأشهر الأخيرة من اسعد ايام حياته. فكلنا بحاجة لنشعر اننا محبوبون ومهتم بنا من قبل الآخرين. لم يشعر بذلك إلى أن وصلت وغيرت حياته. ماذا تنوين ان تفعلي في ما بعد يا جين؟ أو لم تفكري بالأمر بعد؟»

«ليس تماماً. فابنة شقيقتي آبل ستأتي لتقيم معي. واني افكر في المستقبل بعدما ترحل إلى بيتها.»

كانت الحافلة التي ستحضر آبل على وشك ان تصل من ابس ويتش بعد الظهر. وبعدما نهضت باكراً على احر من الجمر على أمل ان تنضم إلى ابنتها التي تعني لها الكثير. وصلت جين إلى المحطة لتنتظر حوالى الساعة.

لم تر آدم منذ الأحد عندما رافقته للابحار، وقد ابلغه والده بموت هيكتور فاتصل من لندن ليقول لها كلمات تعزية بالمناسبة ولتلغي الترتيبات المؤقتة للقائه نهار الجمعة القادم.

لم يحضر الكولونيل مراسم الجنازة بالرغم من انه كان موجوداً بينما حضر ديك ووالده. ومنذ ذلك الوقت، اتصل الكولونيل أكثر من مرة للسؤال عنها ولتقديم اية مساعدة ان كانت تواجه أية مشكلة. لكن آدم لم يكن قريباً منها في محنتها. كانت جين مضطربة لأن طلبها باعطاء توضيح عن كره هيكتور لهم قد ازعج آدم.

لم تكن جين رفيقته في أي شيء سوى بمواعيد محددة موعدين للعشاء وابحار رباعي. ومن الصعب ان تؤلف هذه المواعيد علاقة جدية.

وصلت الحافلة التي تحمل آبل من الجهة اليسرى ولكن أول من ترجل منها كانوا جماعة من المتقاعدين الذين ترجلوا ببطء، ولكن اخيراً جاء دور آبل فنزلت درجات السلم واندفعت بقوة، وارتمت بين ذراعي جين.

قالت آبل وهي متلهفة بينما كانا يستردان حقيبتها الصغيرة من مكان الامتعة في الحافلة: «اني اتشوق لأرى اين تعيشين الآن.»

«انها فتاة جميلة. ان تومي لا يحب الفتيات لكنه يبدو انه سيولع بها.» قال ديك ذلك بعد أسبوع من وصول آبل وتحديداً نهار الأحد.

كان ديك وجين يجلسان امام الشاطىء في فجوة من تلة رمال بالقرب من حافة البحر، وكان الطفلان يحفران شبكة قنوات واسعة للمد عندما ملأت الفجوة بالماء.

انها المرة الثانية منذ وصول آبل تذهب فيها جين وابنتها إلى الشاطىء مع ديك وابنه. كان السيد والسيدة اوسبورن قد ذهبا إلى بحيرة دستريكت لمدة اسبوعين من إجازة السنة وربما يأخذ هو اسبوعاً آخراً إذا استمرت هذه الموجة الحرارية.

وعندما استلقت جين على منشفة البحر واغمضت عينيها من شدة اشعة الشمس واخذت تتساءل ما إذا كانت والدة ديك مضطربة بخصوص ما يحدث في غيابها تماماً كما هي مضطربة لوجودها هنا معه.

لكن ديك جعل الأمر صعباً لرفض دعواته، وكان الأمر جيداً بالنسبة لآبل لتختلط باطفال اخرين. افضل من أن تبقى وحيدة مع جين طوال الوقت ربما من السهل ان تصبح مولعة بحبها واهتمامها.

لاحظت جين ان ديك كان يتحدث إليها ولم تنتبه إلى ما قاله فقالت: «آسفة... ماذا قلت؟»

«لا شيء مهم، هل أخذت قسطاً من النوم.»

في الحقيقة لم تكن نائمة، ولكنها فقط مشغولة البال. ولكن ربما إذا ادعت انه قد غلب عليها النعاس فذلك سيمنعه من فتح موضوع الزواج مجدداً.

ان جين تعلم ان هذا الموضوع يدور في رأسه لكنها ليست مستعدة للتكلم به مجدداً.

يملك ديك الكثير ليقدمه لها ولكن عندما تفكر بالزواج منه يتحول وجهها إلى وجه قاتم وجفونها إلى جفون سوداء.

بقيا على الشاطىء حتى الساعة السادسة، وتوقفا وهما في طريقهما إلى المنزل ليتناولا البيتزا في قاعة الاستقبال الخاصة بالفندق.

قال ديك بينما كان الطفلان لا يزالان جائعين بعد تناولهما شرائح كبيرة من البيتزا: «ماذا لديك غداً؟»

قالت جين وهي متيقظة لخيبة امله: «غداً سنقضي النهار في منزل روز فارنهام.»

دعت روز بعض الأطفال لتناول الغداء وجهزت للقيام بنزهة حيث سيتناولون الطعام في البستان، اما هي وجين واثنتان من الأمهات فسيتناولن الطعام على مائدة زجاجية.

قالت روز إلى جين بينما كانت النساء تجهزن انفسهن للرحيل: «لا تغادري إذا لم يكن هناك شيء تقومين به. ابقي لتناول العشاء.»

كانت روز وجين مرتاحتين في الحديقة وآبل تقرأ كتاباً وجدته لها روز عندما سمعا صوت سيارة قادمة وصوت بوق.

قالت روز: «اوه... تباً من يكون هذا. اجلسي...» قالت لها ذلك بينما كانت جين تهم للنهوض عن الأريكة: «ربما يكون شخصاً لا يود الانضمام الينا.»

وفي اقل من دقيقة عادت روز ولكن ليس وحدها بل كان آدم برفقتها.

انسحبت روز إلى الداخل.

«مرحبا يا جين. كيف حالك؟»

جلس آدم على كرسي ملونة بلون اخضر وقد صنعت لها روز وسادة خضراء وبيضاء.

«بخير. شكراً لك. وانت؟»

«الآن افضل وأنا خارج لندن... انه ليس المكان المناسب لاقيم فيه في هذا الطقس الحار.»

كان آدم قد أتى من المدينة مباشرة ولم يذهب بعد إلى مانور وقد عرفت جين هذا حكما على ملابسه،التي كان يرتديها.

قال آدم «تبدين بخير ومرتاحة.»

كانت بخير ولكنها لم تعد مرتاحة في اللحظة التي رأت فيها زائر روز.

«امضيت يوماً متعباً. دعتنا روز لتناول الغداء وبقينا لتناول العشاء.»

«تقولين نحن؟»

«نعم. بصحبتي ابنة شقيقتي وهي تقرأ كتاباً في مكان ما في البستان.»

«فهمت. وكم ستمكث هنا؟»

«اسبوعين... محتمل اكثر. فأخوتها في مخيم صيفي للصبيان وذلك سيسمح لأختي وزوجها ان يسعدا بوقتهما.»

عادت روز وهي تحمل صينية عليها ثلاثة أكواب مع زجاجة عصير. وقدمت روز الصينية إلى جين.

رفع آدم كوبه قبل ان يتذوقه وقال: «م. م. م... عصير لذيذ بعد قيادة مرهقة وطويلة.»

قالت روز: «لم تكن في الجوار منذ قليل.»

اخبرها آدم: «كان وقتاً حافلاً بالعمل. كنت أشرف على ترتيبات للبيع الرئيسي في فصل الخريف. كانت ب، ب، س تحضر فيلماً عن تحف كراوثورن، وفوق ذلك طلب مني ان اكتب كتاباً عن التحف الضائعة والتحف المكتشفة.»

«كم ذلك ممتعاً! هل ستقوم بذلك؟»

«محتمل. انه لمدهش ان الكثير من اللوحات اكتشفت في امكنة منعزلة، فواحدة من اروع لوحات لورد ليتون بقيت اربعين عاماً في غرفة للرجال في بناء مهجور في كونيكتيكت وفقدت لوحة جميلة رسمها غينز بورو منذ حوالي ستين عاماً لأن صاحبها مات في حادثة غرق سفينة التيتانيك.»

سألت جين: «متى سيعرض الفيلم عن كراوثورن على التلفزيون؟»

«ليس قريباً، لأنهم قضوا عدة ايام يوقعون الفوضى في جناحي الخاص ولن يدهشني إذا رأيت كل ما في الجناح مفسد.»

ظهرت آبل وتوقفت قليلاً عندما رأت رجلاً غريباً يجلس معهما. ابتسمت روز واشارت إلى آدم من تكون الفتاة وعندما وصلت آبل إلى المصطبة عرّفتها به.

صافحته الطفلة وقالت بتهذيب: «كيف حالك؟»

كان جواب آدم رسمياً. أمسك يدها وقال بلطف: «كيف حالك؟» وبعدها ابتسم لها قال: «نحن نتناول عصيراً بارداً. اتريدين كوباً؟»

«نعم. من فضلك.»

وعندما نهضت روز اشار اليها: «اجلسي. سأجلبه أنا.»

انتقلت جين من مكانها على الاريكة لتفسح لآبل مجالاً لتجلس بقربها. والآن يد الطفلة انغمست بيد آدم القوية. وهذا المشهد اعطى نوعاً من الجفاف في حنجرة جين. كانت تعلم ان تلك اللحظة ستتذكرها إلى الأبد: اللقاء الأول لشخصين تحبهما أكثر من أي شيء آخر في العالم ولا يعرفان كم يهمها امرهما.

قالت روز: «يقوم آدم دائماً بزيارة مفاجئة لتحيتي، وهو قادم من لندن. ادعوه ابني الاضافي وفي كثير من الأوقات اعتبره أكثر من ابنائي الحقيقيين.»

عاد آدم وهو يحمل الشراب لآبل.

وبدلا من ان يجلس قال لهم: «جلست في السيارة منذ الساعة الثالثة الا ربع واريد ان اتجول في جوار الحديقة. اتحبين مرافقتي؟»

اومأت آبل وحدقت بجين التي قالت: «انطلقي.»

قالت روز عندما كانا بعيدين عن مرمى السمع: «انه لطيف مع الأطفال. اتمنى ان يسرع ويتزوج.»

قالت جين: «ربما ليس بحاجة للزواج. لا اعتقد ان وحدة الليالي هي مشكلة من مشاكله.»

«ربما لا... في ايام شبابه. لكن إذا سمعت أية ثرثرة عنه لا تصدقي كل ما تسمعيه، فكثير من القصص هي قديمة. لقد اخبرني مرة انه اراد ما اراد والده، شريكة عمر صابرة.»

وبعد عشر دقائق وعندما ظهر آدم وآبل تمسك بيده اندهشت جين لأن الطفلة احبته بهذه السرعة، إلى ان تذكرت

كم أحبته بسرعة هي نفسها عندما رأته في لقائهما الأول.

وراقبتهما جين وهما يجوبان عبر الاعشاب متمهلين ورأسه القاتم منحني لأنه يستمع بانتباه لكل ما تخبره إياه الطفلة الصغيرة. تساءلت جين إذا كانت روز ستطلب منه ان يبقى لتناول العشاء ووجدت نفسها تتضرع من اجل ان تطلب ذلك.

وعندما عادا إلى المصطبة قال آدم: «عليّ أن ارحل. لقد اخبرت والدي انني سأعود الساعة السابعة والآن اصبحت الساعة السادسة والنصف. لا تزعجي نفسك لتوصيلي إلى الخارج يا روز.»

انحنى آدم وقبل خد آبل وهو يضع يديه على ذراعي الأريكة وقال: «إلى اللقاء يا آبل، إلى اللقاء يا جين.»

وداعب آدم ذقن آبل بلطف، اما وداعه لجين فكان وداعاً مبهماً.

وفي طريقهما إلى البيت قالت آبل: «لقد اخبرني آدم عن شخص آخر يدعى آبل.»

«هل سمح لك ان تناديه آدم؟»

«نعم، قال ان السيد فاونتلروي يحب بطنه كثيراً.»

«ان اسمه الصغير ليس فاونتلروي يا حبيبتي. ان الأمير فاونتلروي الصغير كان اسم كتاب من كتب العهد الفكتوري التي اعطتني اياه السيدة تشتستر وارسلته لك. ووالد آدم يدعى فونتني.»

«ومن هذه آبل الأخرى؟»

«كانت ابنة ملك بوهيميا. لم يكن ملكاً حقيقياً ولكن هكذا كانوا يلقبونه. كان متزوجاً من سيدة اميركية وكانت

تجمع اللوحات تدعى بيغي غولي. شيء ما من هذا القبيل.»

«بيغي جغجهايم.»

«نعم، هذا هو الاسم. وكيف عرفت الاسم؟»

«انها ومجموعة لوحاتها مشهورين... وما زالوا. لكنني لا اعرف شيئاً عن ملك بوهيميا وابنته التي تدعى آبل. كم هذا رائع.»

قالت آبل بجدية: «ان آدم ممتع جداً. لقد احببته. الم تحبيه؟»

قالت جين من دون أي قصد: «لقد قابلته هو ووالده من قبل... كلاهما رائعان.»

وبعد تلك الليلة، وبينما كانت آبل نائمة، استحمت جين وارتدت بنطال جينز وتي شيرت وجلست خارجاً بينما كان غسق ليلة الصيف الطويلة تعزف بالظلمة.

جلست جين على كرسي هيكتور الهزاز وفكرت به وباوليفيا تشتستر وكم هي ممتنة لهما. والآن هي تملك كل شيء حلمت به، بيت صغير وحديقة جميلة. ووعد بوظيفة أو حتى إذا احبت ان تعمل بالتجارة فربما بإمكانها الاستمرار.

شعرت جين بانها تبكي بعدما حسبت كل ممتلكاتها، وشعرت انها راضية جداً وخاصة ببقاء آبل معها.

قرع جرس الباب جعلها تدخل واملت ان يكون الطارق واحداً من جيرانها الذي كان يناديها. وإذا كان ديك لا بد ان تقول له انها لن تستطيع أن تتزوج منه لاسباب عملية، وليس لأن قلبها يحب شخصاً آخراً.

لكنه لم يكن ديك بل كان آدم.

حدقت به مندهشة إلى أن قال: «هل استطيع الدخول؟»

وبسرعة فتحت جين الباب وتراجعت إلى الوراء لتسمح له بالدخول.

سأل آدم: «هل آبل نائمة؟»

«نعم.»

«هذا جيد. اريد التحدث اليك، ولكن ليس بحضورها.»

أغلقت جين الباب وارشدته إلى الطريق الذي يؤدي إلى الغرفة الخلفية.

«اتريد فنجاناً من القهوة؟»

«لا شكراً. تناولتها للتو. وقد تناولنا العشاء متأخرين الليلة.»

«هل أتيت لتخبرني ان الوظيفة التي قدمها لي والدك لم تعد شاغرة؟»

«على العكس فهو متشوق لتكوني مساعدته وكان يتكلم عن الموضوع الليلة. لكنه لم يرغب في الضغط عليك. وسبب وجودي هنا هو... سبب خاص.»

قالت متشككة: «خاص.»

«آبل هي طفلتك، اليس كذلك؟»

وتراجعت جين إلى الوراء وقالت: «ما الذي يجعلك تقول هذا.»

«الطريقة التي تنظرين بها إليها، الشبه الموجود بينكما. ليس فقط شبها خارجياً... شيء ما اكثر من ذلك. وهذا واضح لأي شخص يشاهدك عن قرب كما اشاهدك انا. إذا كنت محقاً فذلك يفسر كل الأمور التي تجعلك غامضة.»

«أية أمور؟»

www.elromancia.com

«اهمها انك مازلت وحيدة وبالطبع هناك سبب آخر لذلك... شيء ما اكثر من خسارة شاب احببته في عمر الثامنة عشر.»

«هناك الآن النساء اللواتي مازلن آنسات.»

وبالرغم من انها اشارت إليه بالجلوس كان لا يزال واقفاً على قدميه كما كانت هي.

«ليس عندما يكونوا جميلات كجمالك.»

ونظر آدم إلى عينيها. وفي مرة واحدة كان تعبيره كوجه جرّد من قناعه بعد أن كان مبهماً.

ولكن هذه المرة لم يكن ذلك الغضب الذي رأته في عينيه مثل غضبه في السابق فكل مشاعرها الخاصة الآن تنعكس صورة واضحة في عينيه.

قال آدم بصوت خافت: «يجب أن تعلمي بأني احبك. فالجميع يعلم ذلك واريد ان اتزوجك يا جين. اريد ان اقضي بقية حياتي اهتم بك واسعدك. كان علي ان اخبرك هذا من قبل ولكن في كل مرة نكون فيها على وشك التقدم تتراجعين... تبتعدين عني. وحتى اليوم لم افهم موقفك. اعتقدت انني ربما كنت مخطئاً... انك لم تحبيني الآن وبعد لقائي بآبل اعتقد ان سبب ذلك هو انك قد تألمت. فأنت خائفة من الحب، تخشين ان يجرحك احد مرة ثانية.»

تكلم آدم بصوت اجش في اذنيها: «ثقي بي يا جين.. ثقي بعواطفك فنحن ملائمان لبعضنا البعض. لا يمكنك ان تتزوجي من ديك، لن اسمح بذلك... سيكون ذلك جنوناً. انت لي... وكنت دائماً لي.»

قالت: «اعلم ذلك... لكنني لم اعلم انك شعرت بنفس

الحب. اعتقدت انك مجرد عابر. وحتى لو كنت جاداً، اعتقدت انك ستغير رأيك عندما تعلم عن تاريخي الماضي.»

«ما يهم هو مستقبلنا وليس ماضينا. هل اعتقدت حقاً ان وجود آبل سيغير شعوري نحوك؟»

«تمنيت أن لا يتغير... لم اكن متأكدة. لن يرغب والدك عندما يعلم.»

«أبي يحبك. ربما يفاجأ بالأمر ولكن ذلك لن يغير شعوره نحوك.»

«آمل ذلك. اوه... آدم...»

وفي الحال قال لها برقة: «اتمنى لو ابقى... أو اخذك إلى بيتي ولكن بما اني انتظرت طويلاً اعتقد ان بإمكاني ان انتظر قليلاً بعد. من الأفضل ان تجهزي القهوة الآن.»

وبعد بضع دقائق قال لها وهي تقف امام باب المطبخ: «هل يمكننا ان نتزوج بسرعة؟ فوثيقة الزواج هي الوسيلة الأسرع اليس كذلك؟»

«سترافقنا آبل وسترتدي ثوباً أبيض. أنا متأكدة من انها ستحب ذلك.»

«لقد اخبرتني الكثير عن نفسها تقريباً وهي تعيش مع اختك وتناديها أمي.»

«انها لا تعرف عني شيئاً.»

«كيف حدث ذلك؟»

وانتظرت جين إلى أن غلا الإبريق وبدأت جين تخبره كل الأمور التي لم يعرفها بعد.

وفي الصباح التالي اتصل آدم ليخبرها بأنه أخبر والده عن نبأ زواجهما.

«لا يمكنك أن تتخيلي كم كان سعيداً يا حبيبتي.»

«هل اخبرته كل شيء؟»

«كل شيء. ويريد ان تحضرا لتناول الغداء، في الوقت الذي سأحدد فيه موعداً لأخذ اجازة وارتب اموري لاتمام وثيقة الزواج. اصغي إلي قبل ان تخبري أي أحد، اعتقد انه من الأفضل ان تخبري ديك اوسبورن كيف جرت الأمور بيننا. الآن بما انك ستصبحين زوجتي اشعر بالأسى نحوه.»

وعدت جين آدم وقالت: «سأذهب لمقابلته اليوم. علي ان أقوم بذلك وجهاً لوجه.»

في الحقيقة كانت جين تفكر بإيصال هذا النبأ إلى ديك منذ ان استيقظت.

سأل آدم جين عندما وصلت إلى مانور في الساعة الواحدة الا ربع: «كيف جرت الأمور؟»

«كما توقعت. أعلمت ديك وعمل ما بوسعه ليستخف بالأمر ولكني اشعر بالانزعاج لحاله، لأني جعلته يعتقد ان هناك املاً بالنسبة له.»

قال: «إذا كان لا بد من أحد يلام هو أنا، لأنني لم التق بك من قبل. ولكن لا تقلقي كثيراً بشأنه فربما ستناسبه امرأة أخرى. انه شاب وسيم وستجري الأمور على ما يرام بالنسبة له.»

«آمل ذلك. أنا أقدره.»

«اعلم ذلك وهذا يقلقني. ومن نظرة متفرج من الصعب التمييز بين الشفقة والحب.»

وبعد تناول الغداء قال الكولونيل فونتني: «خذ آبل إلى

جناحك العلوي واريها معرض الأحصنة يا آدم. اريد التكلم إلى جين.»

شعرت جين بألم الاستفهام. بعد ان فهم جيداً قرار ابنه هل ما زالت لديه شكوك؟ والأفضل ان يعرض شكوكه على ابنه. وهل سيعالج الموضوع معها بصراحة؟

ولكن بدا ترحيبه ترحيباً خاصاً وحاراً عندما وصلت وشعرت انه كان مسروراً لخطوبتهما، وحقيقة ان لديها طفلة لم تهمه كثيراً.

وبعد ان غادر آدم وآبل الغرفة قال الرجل الكبير: «عندما اخبرني آدم بالنبأ لم افاجأ. هل تتذكرين اليوم الذي تعرفتما به على بعض في معرض الأميرال للبيع؟»

«طبعاً.»

«علمت حينها انك كنت الفتاة التي وقع آدم بحبها في ذلك المعرض. كانت تلك الليلة هي البداية. رجع آدم بغاية السعادة وخوفاً من ان لا اشعر بالغيظ قال بسرعة: ابي. لقد قابلت اعظم واجمل فتاة وسأتزوجها.» توقف الكولونيل مبتسماً اليها بعد ان ارتاحت من أي قلق مضجر.

وتابع قوله: «لكن لم تجر الأمور على مايرام. فتألم آدم لعدة أشهر. لم احقق بالأمر، ولم اسأله لأنه لم يرغب ان يناقش الموضوع. وبعد ذلك عدت وظهرت في حياته وعلمت حينها ان الخلاف بينكما قد انتهى.»

قالت جين وهي مبتسمة: «اتمنى ان اكون عند حسن ظنك.»

وفي الحال نزل آدم مع آبل إلى الطابق السفلي.

قال الكولونيل لآبل: «ان الشخصين المخطوبين حديثاً

لديهما الكثير للتحدث عنه، وقد دعيت لتناول الشاي مع صديقة عندها بركة للسباحة. هل تريدين مرافقتي بحيث نفسح المجال لجين وآدم ان يخططا لعرسهما بهدوء.»

قالت آبل: «نعم من فضلك.» ومن ثم قطبت حاجبيها وقالت: «لكني لم احضر ثوب السباحة.»

«هذه ليست مشكلة، فالسيدة موريس لديها مجموعة كبيرة من الاحفاد وإنا متأكدة انها تملك ثوباً يناسبك واداة للتنفس تحت الماء.»

وعندما اصبحا بمفردهما، تمتمت جين: «لا تستطيع ان تتخيل كما أنا سعيدة.»

قال آدم بلطف: «لا تكوني ساذجة، فالأمر ذاته بالنسبة لي. وهذه هي فقط البداية، هي التمهيد. اصغي اليّ يا جين، اعتقد عندما نتزوج علينا ان نأخذ آبل إلى اختك ونحاول ان نصلح الأمور. يجب أن تعلم آبل الحقيقة في يوم من الأيام.» وغرق صوته ثم تابع: «لقد عشتِ حياة تعيسة ومن الآن وصاعداً ستختلف الأمور.»

وبدأت عيناها تلمعان من كثرة الدموع لكنها كانت دموع السعادة وقالت: «لقد اختلفت الأمور للتو.» واخفض آدم رأسه ليلمس رأسها.

تمـــت